تقديم

الحمد لله خالق كلّ شيء بنظام وتقدير، والصّلاة والسّلام على المبعوث رحمةً للعالمين الذي كانتْ سيرته أنموذجًا عمليًّا في الأخذ بالسُّنن فهمًا وتنزيلاً..

من الأمور التي باتت مقرّرة في عالم الاجتماع البشريّ أن حركة الإنسان محكومة بسنن ثابتة، ومطرّدة، ومتكاملة، ومتناسقة، قال تعالى: (ربُّنا الذي أعطى كُلّ شيءٍ خلْقَه ثمَّ هدَى) [طه: ٥٠] وقال تعالى: (سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ، وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) [الفتح: ٣٢]، وذلك حتّى تستقيم حركة الحياة وفق نظام صارم ودقيق يُعين على تحقيق مقصود الشّارع في الاعتبار من التّاريخ وأحداثه ومقاصده، قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِم عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ، مَا كَانَ حَدِيثا يُفْتَرَى) [يوسف: ١١١].

ويتناول هذا (الكتاب) الذي بين أيدينا موضوعاً مُهمًّا، وهو فقه السُّنن الإلهيّة في سياق تنزيليّ، حيث يُعالج قضيّةً منهجيّة، في غاية الأهميّة، وهي: حالة الانفصال الموجودة بين التّأصيل النّظريّ لفقه السّنن وواقعها التّطبيقيّ، وذلك من خلال (معركة طوفان الأقصى)، ذلك أنّ (السّنن الإلهيّة) من حيث هي النواميس الضّابطة والمهيمنة التي تجري بثباتٍ واطّرادٍ وشمولٍ وعموم، وتحكم حركة الإنسان والمجتمعات، لا ينبغي أن تظلّ حبيسة النّظريّات والتّصوّرات الجوفاء، بل لا قيمة لها إن هي كانت كذلك، وإنّما ينبغي أن يتحوّل هذا الفقه إلى أدواتٍ منهجيّةٍ فاعلة لفهم الواقع ودراسته وتحليله واستشراف مُستقبله.

والقرآن حافل بالحديث عن (السّنن الإلهيّة) أو (الفقه السُّننيّ) لفظاً[1] ومعنىً، حيث نجده في سياقات مختلفة يُعقّب على القصص القرآنيّ وأحداث التّاريخ ببيان مآلات الأحداث وعواقبها مستحضرًا السّنن الضّابطة لتلك الأحداث، ومن تلك السّنن، على سبيل المثال، وهي كثيرة جدًّا: سنة التّدافع بين الحقّ والباطل، وسنّة نصر المؤمنين، وسنّة امتحان المؤمنين، وسنّة إهلاك الظّالمين، وسنّة اللّه في استدراج الظّالمين، وغيرها من السُّنن الحاكمة لحركة الحياة أو بتعبير آخر لحركة التّاريخ.

1 / وردت بصيغ مختلفة في ستة عشر وجها في القرآن الكريم: إفراداً وجمعاً وإضافةً.

ولعلّ من أبرز المسائل التي تجدر الإشارة إليها في هذا السّياق هي: أن التّوصيف الدّقيق والفهم العميق لـ(فقه السّنن) من شأنه أن يمنحنا رؤية مُتبصرّة بالواقع وتعقيداته ومتطلّباته وتوقّع مآلته وعواقبه، وهذا يندرج اليوم -للأسف الشّديد- ضمن الفرائض المهجورة في قراءتنا للأحداث الجارية في الواقع الرّاهن.

وقد بذل الدكتور محمد أكرم العدلوني، جزاه اللّٰه خيرا، جهداً مشكوراً في استقصاء السُّنن القرآنيّة وعلاقتها بـ(طوفان الأقصى) ومعركة التّحرير، وأعاد الاعتبار لهذا الفقه المهجور في قراءة سننيّة لأعظم حدث سننيّ في تاريخ القضيّة الفلسطينيّة، سائلين المولى عزّ وجلّ وأن يتقبّل منه وأن يجعل ما استفرغه من جهدٍ واجتهادٍ في ميزان حسناته..

وإنّه لجهاد نصرٌ أو استشهاد..

فتحي عبد القادر
مؤسّسة الرّواد العالميّة - إسطنبول

من سُنن القرآن .. في معركة الطوفان (قوانين، وقواعد، ومعادلات)

مقدمة السلسلة:

في ظلال معركة «طوفان الأقصى» المظفرة والتي انطلقت في صبيحة يوم السابع من أكتوبر/ تشرين الأول من العام (٣٢٠٢)، تلك المعركة العظيمة التي شكّلت ضربة إستراتيجية، وسجّلت ملحمة بطولية غير مسبوقة في تاريخ الثورة والمقاومة الفلسطينية خلال قرن من الزمان. لقد رسّخت هذه المعركة جملة من الدلالات الاستراتيجية التي سيكون لها ما بعدها في سياق الصراع بين المشروع الإسلامي لتحرير فلسطين والمشروع الصهيوني الإحلالي الاستعماري الاستيطاني. ومن أهم هذه الدلالات للمعركة، كما جاء في مقالة للأخ أ. د. محسن صالح[1]، هي:

- مركزية القدس والأقصى في الوجدان الفلسطيني والعربي والإسلامي.
- التكريس العمليّ لمشروع المقاومة، بوصفه الأداة الفعالة لانتزاع الحقوق.
- سقوط «نظرية الأمن الإسرائيلي» القائمة على مبادئ الردع والإنذار المبكر.
- فشل إسرائيل في الحفاظ على الصورة التي قدمتها لنفسها على أنّها «شرطي المنطقة».
- سقوط فرضية إمكانية إغلاق الملف الفلسطيني في ظل التطبيع.
- فشل المشروع الإسرائيلي في تطويع الإنسان الفلسطيني.
- إحداث أثر عميق في المسار الفلسطيني والتعامل مع القضية الفلسطينية.

1 /من مقالة لـ أ. د. محسن محمد صالح في (تي آر تي عربي TRT)، ٣٢٠٢/٠١/٣١ مدير عام مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات.

كما أظهرت هذه المعركة تجلّيات عظيمة لمنظومة من السنن الإلهية[٢]، التي لا تتبدّل ولا تتحوّل لقوله سبحانه وتعالى: (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلا سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلا (فاطر: ٣٤)، هذه السنن دفعتني للتفكّر والتأمل والنظر والتدبر في القرآن الكريم لأجل فهمها، وإدراك معانيها وحِكَمِها، وما يخفى من إشاراتها وتنبيهاتها؛ لينتفع القلب والعقل بذلك، فتحصل للإنسان المتأمل؛ الموعظة، والاعتبار، والخشوع، والإدّكار. لذلك، فإنّ هذه المعركة – ولكي نفهمها من «زاوية سُننية» بحتة - علينا استصحاب واستحضار آيات القرآن الكريم، لكي نتفهم آياته ومعانيه، وأن نعيش معها بأرواحنا وفكرنا ووجداننا، امتثالاً

لقوله الله تعالى: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ) (ص: ٩٢).

ولقد شرح الله تعالى صدري – ونحن في خضم المعركة - للتأمل والتدبّر في السنن الإلهية المنثورة في القرآن، فرصدتُ «منظومة متكاملة» من القوانين والقواعد والمعادلات المتعلقة بالحروب والمعارك والغزوات، تلك التي خاضها النّبي صلى الله عليه وسلّم والصحابة الكرام من بعده وإلى يوم الدين. لهذا، سيكون موضوع السلسلة هو محاولة الربط بين سُنن القرآن ومعركة الطوفان.

2/السنة بمعنى: «القانون العام» من حيث خضوع أفعال البشر وسلوكهم إلى أحكام هذه السنة»، كما جاء في كتاب د. زيدان.

القانون الأول
(قانون النصر والتمكين)

القانون الأول: قانون النّصر والتّمكين

مع تزايد إيقاع المعركة البطولية، وبعد مرور أكثر من أربعين يوماً على بدئها، ومع ثبات مجاهدينا وصمودهم الأسطوري، وإبداعات بطولاتهم في إذاقة عدوهم أصنافا من الموت، ومع اقتراب النصر والتمكين في الأفق، اخترت أن أبدأ هذه السلسلة بالقانون الأول تحت عنوان (قانون النصر والتمكين).

فالنصر والتمكين هما ثمرة الجهاد الذي يتطلع إليهما المجاهد المسلم في الدنيا، وهذا التمكين والنصر لا يؤتي أكلَه إلا على أيدي مؤمنين صادقين، يستحقونه ويقومون بواجباته لقوله تعالى: (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ، الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ) (الحج: ١٤)، وتأكيداً لقوله تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (النور: ٥٥).

إنّ الذين يُمكّنون وينتصرون قبل أن تنضج تربيتهم، قد يُفسدون أكثر مما يصلحون. إنّ سنة الله قضت بأن لا يتحقق هذا التمكين إلا بعد أن يصهر أهله في بوتقة الابتلاء، وتصقلهم المحن والشدائد، ليبتلي ما في صدورهم، ويُمحّص ما في قلوبهم، ويميز الخبيث من الطيب. وفي هذا سُئل الإمام الشافعي (رحمه الله تعالى): «أيهما أولى للمؤمن أن يُبتلى أم يمكّن؟ فقال: وهل يكون تمكين إلا بعد ابتلاء؟»، إن الله سبحانه وتعالى ابتلى يوسف (عليه السلام) ثم مكّن له، لقوله تعالى: (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (يوسف: ٦٥).

إنّ التمكين الذي يجيء سهل المأخذ، داني القطوف، يخشى أن يضيّعه أهله، أو يفرّطوا في ثمراته، على عكس ما لو بذلوا فيه من أنفسهم وأموالهم وراحتهم – كما هو حال المقاومة الباسلة في فلسطين - ومستهم البأساء والضراء والزلزلة حتى أتى نصر الله سبحانه وتعالى.

إنّ لقانون (النصر والتمكين) تجلّياته وعوامله الأساسية التي تُكّمل المعنى والمغزى، وهي:

١. سنة الله في النصر لا تتخلف:

- (وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا، سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا) (الفتح: ٣٢)،
- (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ، وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) (الصّافات: ١٧١-٣٧١)،
- (كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) (المجادلة: ١٢)،
- (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ) (غافر: ١٥)
- (فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) (الروم: ٧٤)،
- (قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ) (آل عمران: ٣١).

٢. **إرتباط النّصر بالإيمان سنّة حتميّة:**

- (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ، وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ، وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) (الأنفال: ٩١)،
- (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (الأنفال: ٤٧)،
- (وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) (المائدة: ٦٥).

٣. **الصّبر والتّقوى من شروط النّصر:**

- (إذ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ، بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ) (آل عمران: ٥٢١).
- في وصيةٍ للفاروق عمر للقائد سعد بن وقّاص في حرب العراق: «فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإنّ تقوى الله أفضل العّدة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب».

٤. **اللّه سبحانه مصدر النّصر والتّمكين:**

- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ) (محمد: ٨)،
- (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ، وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ، لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا، وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) (الحج: ٠٤)،
- (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) (آل عمران:٦٢١)،

- (إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (آل عمران:٠٦١)،
- (إِلاّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا) (التوبة: ٠٤)،
- (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ) (الأعراف: ٧٩١)،
- (وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ، تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ؛ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (الأنفال: ٦٢)، (وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ) (الأنفال:٢٦).

٥. الجهاد وإعداد القوّة من شروط النّصر:

- (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) (الأنفال: ٠٦)،
- (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ) (الأنفال: ٥٦)،
- (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ، وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (البقرة: ٦١٢)،
- (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (التوبة: ٥١)،

- (فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) (النّساء: ٤٧).

٦. الصّبر والمصابرة والمرابطة سرّ النّصر:

- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (آل عمران: ٢٠٠)،
- وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ) (الأنعام: ٤٣).

٧. ذِكرُ الله كثيراً من عوامل النّصر:

- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الأنفال: ٥٤)،
- (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد: ٨٢)،
- أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) (الحديد: ٦١)،
- (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (الأنفال: ٢)،
- (يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً) (الأحزاب: ١٧).

٨. الأخذ بالحذر والحيطة من متطلّبات النّصر:

- (وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ، وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً، وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) (النساء: ٢٠١)،
- (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ) (المائدة: ٢٩)،
- (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) (المنافقون: ٤).

٩. حتميّة الأذى والزلزلة قبل النّصر:

- (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) (البقرة: ٤١٢).
- (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ، وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ، وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ، وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (آل عمران: ٠٤١).
- (إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونا، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالا شَدِيدًا) (الأحزاب: ١١).

١٠. تجنّب العوائق الأساسيّة للنّصر:

- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (الأنفال: ٦٤).
- (وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) (الأنفال: ٧٤).
- (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ، وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا، وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ) (التوبة: ٥٢).

القانون الثاني

(الابتلاء والضراء والبأساء في الحروب)

القانون الثّاني	قانون الابتلاء والفتنة والضّرّاء والبأساء في الحروب

مقدّمة (لا نصر بدون إبتلاء)

بعد مرور خمسين يوماً من بداية معركة طوفان الأقصى البطولية في صبيحة اليوم السابع من أكتوبر للعام ٣٢٠٢ على أيدي المقاومة الفلسطينية المظفرة بقيادة كتائب عز الدين القسام وبالشراكة مع بقية الفصائل الأخرى، وبعد الانتصار الإستراتيجي الذي تحقق في الملحمة الأسطورية غير المسبوقة في تاريخ المقاومات المعاصرة. حيث شنّ خلالها العدو الصهيوني حربَ إبادة جماعية وتطهير عرقي وتهجير قسري ليس لها مثيل في تاريخ جرائم الحرب بشهادة كبار المحللين الاستراتيجيين والخبراء العسكريين. وقدّر الله تعالى أن يكون حصيلة هذه الحرب عدد كبير من التضحيات الجسام باهظة الثمن من أرواح المدنيين العزّل من الأطفال والنساء والشيوخ، فالاحتلال بعد فشله في تحقيق أهدافه التي أعلنها ذهب يقصف المستشفيات والمدارس والمساجد والكنائس والجامعات والمدارس وكل مرافق ومقومات الحياة في غزة، ويُمعن القتل في البيئة الحاضنة للمقاومة عقابًا لها لأنها وضعت المقاومة في عينيها، فشاهدَ العالم جرائمه، وخرجت المظاهرات في كل الدنيا تندِّد بنازيته وجرائمه.

لقد مضت «سنة الله في الابتلاء والفتنة « أنه يمتحن عباده بالشر والخير، أي يختبرهم بما يصيبهم مما يثقل عليهم: كالمرض والفقر والحروب والمصائب المختلفة، كما يختبرهم بما ينعم عليهم من النعم المختلفة التي تجعل حياتهم في رفاهية ورخاء وسعة العيش: كالصحة والغنى ونحو ذلك. ليتبيّن بهذا الامتحان من يصبر في حال الشدة ومن يشكر في حال الرخاء والنعمة،

قال تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) (الأنبياء: ٥٣)، وقوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ) (المؤمنون: ٣٠)، أي نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا والمصائب والشدائد.

وسنتناول في هذا البحث ضمن هذه السلسلة (من سُنن القرآن ... في معركة الطوفان)، القانون الثاني تحت عنوان قانون (الابتلاء والفتنة والضراء والبأساء في الحروب)، وذلك للتأكيد على أن النصر والتمكين لا يمكن أن يتحقق بدون الابتلاء والضراء والبأساء للجماعة المؤمنة وهي تخوض معاركها وحروبها في كل زمان ومكان فيه الصراع بين الحق والباطل. وسيتضمن بحثنا هذا المضامين التالية: (معنى الابتلاء والفتنة، الحكمة من الابتلاء والفتن، وأنواع الابتلاءات والفتن، وواجباتنا تجاه الابتلاءات، وموقف الناس من البلاء والفتن).

أولاً: معنى الفتنة والابتلاء والنوازل

جاء في (لسان العرب لابن منظور): جماع معنى الفتنة: الابتلاء والامتحان والاختبار، والفتنة: القتل كما في قوله تعالى: (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ) (البقرة: ١٩١)، وقوله تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ) (البقرة: ٣٩١)، وقوله تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (الأنفال: ٩٣).

أما الابتلاء، كما جاء في (لسان العرب): بلوتُ الرجل وابتليته: اختبرته، وابتلاه الله: امتحنه، والبلاء الاختبار يكون في الخير والشر لقوله: (وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) (الأنبياء: ٥٣)، وسمي التكليف بلاءً من ثلاثة أوجه: (أ) أن التكاليف كلها مشاق على الأبدان، (ب) أنها اختبارات ولهذا قوله تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) (محمد: ١٣)، (ج) أن اختبار الله تعالى للعبد تارة بالمسار ليشكر وتارة بالمضار ليصبر فصارت المحنة والمنحة جميعاً بلاء.

أما النوازل، والنازلة هي المصيبة الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس، ومن أمثلة النوازل: الحرب، الوباء، القحط، الأمطار والسيول، الفتن وماشابه ذلك. أما النوازل في الاصطلاح: تطلق بوجه عام على المسائل والوقائع التي تستدعي حكماً شرعياً. يقول الشاعر :

(قد هوّن الصبر عندي كلّ نازلة ... وليَّن العزم حدَّ المرْكَبِ الخشنِ).

ثانياً: حكمة الفتنة والابتلاء والنوازل

١. إعداد الجماعة المسلمة التي تحمل الدعوة إلى الله تعالى؛ لأنه يتميّز بهذا الامتحان القوي من الضعيف من أعضائها والصادق في إيمانه من الكاذب أو المنافق قال تعالى: (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ) (آل عمران: ٩٧١)

٢. تمحيص صفوف الجماعة المسلمة وتمييز أعضائها، وإنهاء حالة الاختلاط بين المؤمن والمنافق وإزالة الالتباس والخطأ بين الصادقين وغيرهم، فالتمايز بين الخبيث والطيب من أعضائها ضروري جداً لها، والشدائد والمحن تقوم بهذا التمييز كما تقوم النار بتمييز المعدن الأصيل وغيره. لقوله: (وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (آل عمران: ٤٥١).

٣. تعريف الجماعة المسلمة بوزن قوتها الحقيقية، لأن الشدائد كما قلنا تمييز وتمحيص، فبإنكشاف حال المنافقين المندسين في صفوفها، وانكشاف حال القادمين إليها للغنيمة والجاه والتجسس أو غير ذلك من الأغراض الدنيوية أو الخسيسة، سيكون وزن قوة الجماعة قدر وزن الذين ظهر صدقهم وإخلاصهم وثباتهم.

٤. الابتلاء من مقتضيات سنة الله تعالى في التدافع بين الحق والباطل، وما يتبعه من أذى بشتى أنواعه يلحق بالمؤمنين، وكلما كان المؤمن صلباً في دينه كان أكثر جهاداً في سبيل الله، فيكون أكثر بلاء من غيره لما يلقاه من الكفرة وأهل الباطل في

جهاده ومدافعته لهم.

٥. لتتضاعف أجورهم وتتكامل فضائلهم ويظهر للناس صبرهم ورضاهم فيُقتدى بهم، كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: «دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو يوعك فقلت: يا رسول إنك توعك وعكاً شديداً، فقال: أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم، قلت: ذلك بأن لك أجرين، قال: أجل، ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى -حتى شوكة فما فوقها إلا كفّر الله بها سيئاته كما تحطّ الشجرة ورقها» (البخاري).

٦. لمعرفة مصدر المصيبة التي يُبتلى بها الجماعة المسلمة، كما جاء في قوله تعالى:

١. (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (آل عمران:٥٦١).

٢. (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) (الشورى:٠٣) .

٣. (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (التغابن: ١١).

ثالثاً: أنواع الفتنة والابتلاء والنّوازل

أخرج الترمذي عن سعد بن أبي وقّاص (رضي اللّه عنه) قال، قلت: يا رسول اللّه، أيُّ الناسِ أشدُّ بلاءً؟ قال: «الأنبياءُ ثم الأمثلُ فالأمثل، يبتلى الرَّجل على حسب دينه، فإنّ كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقّةٌ ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة») (جامع الترمذي).

والإبتلاءات والفتن أنواع، وهي:

١. الابتلاء الأمني:

- (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) (البقرة:٧٥١).

٢. الابتلاء الإقتصادي:

- (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً، وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً) (الكهف: ٧).
- (لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (آل عمران:٦٨١)

٣. الابتلاء الاجتماعي:

- (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (الأنعام:٥٦١). (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) (الأنفال:٨٢).

- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (المنافقون: ٩).

٤. الابتلاء العسكري:

- (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) (آل عمران: ٢٤١).
- (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) (البقرة: ٤١٢).
- (وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (البقرة: ٧١١).

رابعاً: واجباتنا تجاه الفتن والابتلاءات والنّوازل

١. الاستعاذة من الفتن:

- (رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (الممتحنة:٥).

٢. الصبر على المصائب:

- (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) (البقرة:٧٥١).

٣. التقوى من عزم الأمور:

- (لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (آل عمران:٦٨١).

٤. الإيمان بأنّ اللّه تعالى هو كاشف البلوى:

- (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (الأنعام: ٧١).
- (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ) (يونس:٧٠١).

٥. التضرع والدعاء إلى اللّه سبحانه:

- (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ) (الأنبياء: ٤٨).
- (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ) (الزمر:٨).
- (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ) (النحل:٣٥ .

٦. الابتلاء والفتنة باختبار الولاء القلبي والاتباع العملي:

- (قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (آل عمران:٤٥١).
- (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ) (المدثر:١٣).

خامساً: موقف النّاس من الفتن والابتلاءات والنّوازل

- (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) (الحج: ١١).
- (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ) (العنكبوت: ٠١).
- (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً، فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ، مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ، كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (يونس: ٢١).

خاتمة (النّصر لا يقاس بعدد الشّهداء)

نختم القول: بأنّ النّصر في الحروب لا يُقاس بعدد شهدائنا مقابل جِيَفِهم، ففي كل حروب التّحرير كان صاحب الأرض هو الذي يُقدّم الفاتورة الأكبر من الدَّم .. الجزائريون لم يقتلوا من قوات الاحتلال الفرنسيّ – بعد ٢٣١ عاماً- أكثر من خمسين ألفًا، ولكنهم انتصروا رغم أن عديد شهدائهم بلغ (مليونًا ونصف)؛ والأمريكان قتلوا من الفيتناميين (مليونا إنسان) ولكن تحرروا بعد (٠٢ عاماً)، ورغم هذا خرجت أمريكا من فيتنام وهي تجرُّ أذيال الخيبة، وكذلك الأفغان قدموا (٢) مليون مدنيّ بعد سنين طويلة في جهادهم، والعراقيون في حربهم مع أمريكا قدّموا (٠٠٦) ألف جندي، حتى السوفييت في الحرب العالمية الثانية قدمت نحو (٢١) مليوناً. وسبحان الله القائل: (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) (العنكبوت: ٣) صدق الله العظيم.

القانون الثالث

(قانون الصبر وأجر الصابرين)

القانون الثّالث	قانون الصّبر وأجر الصّابرين

- القانون العام: (وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ، وَ أَقَامُوا الصَّلاةَ، وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً، وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ؛ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ) (الرعد:٢٢)

مقدّمة

«إنّ معركة طوفان الأقصى فرقانٌ بين الشعب الفلسطيني الذي أمده الله بقوة وصبر عجيب، وسكب في قلبه رضا شديد بقضاء الله، وتسليم مطلق لمشيئته وهو يودع خيرة شبابه شهداء في غزوة مباركة، فكانت الطمأنينة والسكينة لوصف الله تعالى لهم: (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) (الفتح: ٤)، بينما قذف الرعب في قلوب العدوان رغم آلة الجبروت والدمار التي يقودها لقوله تعالى: (وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا) (الأحزاب: ٦٢) وتجسد رعب المواجهة لدى جند الباطل في الميدان وكان حقاً ما قاله الله تعالى: (لأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ) (الحشر: ٣١).

«صبراً آل غزة إن موعدكم النصر بإذن الله»؛ إنّ الصبر الجميل صفة تفرّد بها أهل غزة العزة عن غيرهم من الناس،

لكون صبرهم اعتمد على الاحتساب والأجر العظيم من الله تبارك وتعالى، لقد قدّم أهل غزة كل أنواع التضحيات، وذاقوا كل أنواع الأذى، وامتُحنوا بكل أنواع الابتلاء، وكتب الله عليهم كل أنواع المحن والشدة، لقد قدّموا أغلى ما يملكون وهم يواجهون لوحدهم الآلة العسكرية الهمجية البربرية الصهيونية التدميرية منذ ستون يوماً.

لقد تعرض شعبنا «الأسطوري» البطل إلى حرب إبادة جماعية، وتطهير عرقي، وتهجير قسري، وعقاب جماعي، ففقدوا؛ أرواحهم (بآلاف الشهداء من الأطفال والنساء والشيوخ والمرضى والكوادر الطبية .. وغيرهم)، وفقدوا أموالهم المتمثلة في (ممتلكاتهم من كل الأنواع والأشكال والأحجام، وفقدوا -أيضاً- بُناهم التحتية المتمثلة في (المدارس والجامعات والمستشفيات والمراكز الطبية والمخابز والمزارع والمصانع والآبار وكل مرافق الحياة وغيرها)، وكأني بالله سبحانه وتعالى يصف أهل غزة العظماء في قوله تعالى: (وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ (أي المصيبة)، وَالضَّرَّاءِ (أي الفقر والتجويع والتعطيش)، وَحِينَ الْبَأْسِ (أي الحرب)، أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (البقرة: ٧٧١)، وهنيئا لأهل غزة الذين قرنوا كل هذه الابتلاءات والشدائد والمحن بالصبر والإحتساب، فلم يضيعوا الأجر ولم تذهب المثوبة لقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الحديث النبوي الشريف: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له). (صحيح مسلم).

وما أبدع القائل: (الصبر مرّ .. لا يتجرعه إلا حرّ).

ولقول الشاعر:

(وقلّ من جَدّ في أمرٍ يُحاوله ... واستصحبَ الصبرَ إلا فازَ بالظَفرِ)

أولاً: الصّبر، حقيقته، وضرورته، وحكمه

(1) معنى الصّبر في اللّغة:

- الحبس والكفّ: لقوله تعالى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) (الكهف: ٨٢).
- يقابل الصّبر: الجزع والهلع: لقوله: (قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ، سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ) (إبراهيم: ١٢)، (إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا) (المعارج: ٩١).
- والصّبر في القرآن يعني: حبس النّفس على ما تكره: لقوله: (وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ) (الرّعد: ٢٢).
- الصّبر من أبرز الأخلاق القرآنيّة؛ التي عني بها الكتاب العزيز في سوره المكيّة والمدنيّة، وهو أكثر خُلُق تكرر ذكره في القرآن (في نحو تسعين موضعاً).

(٢) ضرورة الصّبر وأهميته:

- «الصبر ضرورة لازمة للإنسان ليرقى مادياً ومعنوياً، ويسعد فردياً واجتماعياً، فلا ينتصر دين، ولا تنهض دنيا إلا بالصّبر.
- فالصّبر ضرورة دنيويّة، كما هو ضرورة دينيّة. فلا نجاح في الدّنيا، ولا فلاح في الآخرة إلاّ بالصّبر، فمن صبر ظفر، ومن عدِم الصّبر لم يظفر بشيء.
- ولولا صبر المقاتل في ساح الوغى ما انتصر، وهكذا كل النّاجحين في الدنيا إنّما حقّقوا آمالهم بالصّبر؛ استمرأوا المرّ، واستعذبوا

العذاب، واستهانوا بالصّعاب، ومشوا على الشّوك، وحفروا الصّخور (الأنفاق) بالأظافر، ولم يبالوا بالأحجار تقف في طريقهم، والطعنات تغرس في ظهورهم، وبالشراك تنصب للإيقاع بهم، وبالكلاب تنبح من حولهم، بل مضوا في طريقهم، غير وانين ولا متوقفين، مغضّين الأعين على القذى، ساحبين الذّيول على الأذى، متذرعين بالعزيمة، مسلحين بالصبر"[3].

(٣) حكم الصبر:

ذكر الإمام ابن القيم في مدارجه: أن الصبر واجب بإجماع الأمّة، ويكفي في الدّلالة على ذلك:

- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة: ٣٥١).
- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (آل عمران: ٠٠٢).
- (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ) (النحل: ٧٢١).
- (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ) (الأحقاف: ٥٣).

3 / كتاب الصبر في القرآن، للدكتور يوسف القرضاوي

ثانياً: مجالات الصَّبر وأنواعه في القرآن

١. **الصّبر على بلاء الدنيا:**

- (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) (البقرة: ٥٥١- ٧٥١).

٢. **الصّبر عن مشتهيات النّفس:**

- (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلا الصَّابِرُونَ) (القصص: ٠٨).
- (ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (النساء: ٥٢).
- (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) (الشورى: ٣٤).

٣. **الصّبر على طاعة الله تعالى:**

- (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) (مريم: ٥٦).
- (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى) (طه: ٢٣١).
- (إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) (هود: ١١).

٤. **الصّبر على مشاق الدعوة إلى الله:**

- (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) (لقمان: ٧١).
- (وَمَا لَنَا أَلا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (إبراهيم: ٢١).
- (وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ). (الأعراف: ٦٢١).

٥. **الصّبر حين البأس (أي الصبر في الحرب حين لقاء الأعداء):**

- (وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (البقرة: ٧٧١).
- (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ، الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) (الأنفال: ٥٦).
- (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ، وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) (آل عمران: ٢٤١).
- (قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ، وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ) (البقرة: ٩٤٢-١٥٢).

ثالثاً: منزلة الصّبر والصّابرين في القرآن

(١) اقتران الصّبر بالقيم الرّوحيّة العليا:

١. باليقين: لقوله تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) (السجدة: ٤٢).

2. بالشكر: لقوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) (إبراهيم: ٥).

3. بالتوكل: لقوله تعالى: (الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (النحل: ٢٤).

4. بالصلاة: لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة: ٣٥١).
5. بالتسبيح والاستغفار: (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ) (غافر: ٥٥).
6. بالجهاد: لقوله تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) (محمد: ١٣).
7. بعمل الصالحات: (إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) (هود: ١١).
8. بالتقوى: (وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) (آل عمران: ٠٢١).
9. بالحق: (إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) (العصر: ٣).
10. بالمرحمة: (ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ) (البلد: ٧١).

(2) اقتران الصّبر بالتّقوى:

١. (بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ). (آل عمران: ٥٢١).
٢. (لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) (آل عمران: ٦٨١).
٣. (قَالُوا أَئِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (يوسف: ٠٩).

٤. (فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) (هود: ٩٤).

رابعاً: آثار فضيلة الصّبر على الصّابرين

1. معيّة الله للصابرين:

- ✓ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة: ٣٥١).
- ✓ (كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة: ٩٤٢).
- ✓ (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) (الطور: ٨٤).

٢. محبّة الله للصابرين:

- ✓ (وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) (آل عمران: ٦٤١).

3. إطلاق البشرى للصابرين بما لم يُجمع لغيرهم:

- ✓ (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) (البقرة: ٥٥١).
- ✓ (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) (البقرة: ٧٥١).

4. إيجاب الجزاء للصابرين وتوفية أجورهم بغير حساب:

- ✓ (مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل: ٦٩).
- ✓ (قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (الزمر: ٠١).

5. ضمان النصرة والمدد للصابرين:

- ✓ (بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ) (آل عمران: ٥٢١).

6. الحصول على درجة الإمامة:

- ✓ (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) (السجدة: ٤٢).

7. الثناء عليهم بأنهم أهل العزائم والرجولة:

- ✓ (لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) (آل عمران: ٦٨١).

8. حفظ الصابرين من كيد الأعداء:

- ✓ (إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) (آل عمران: ٠٢١).

9. إستحقاق الصابرين دخول الجنة:

- ✓ (أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا) (الفرقان: ٥٧).
- ✓ (والْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ، سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) (الرعد: ٤٢)

10. إنتفاعهم بعبر التاريخ وإتعاظهم بها:

- ✓ (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) (إبراهيم: ٥).
- ✓ (فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) (سبأ: ٩١).

خامساً: ما يُعين الإنسان على الصّبر

١. اليقين بحسن الجزاء عند الله سبحانه:

- (مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل: ٦٩).
- (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) (البقرة: ٦٥١)

2. اليقين بالفرج من الله تعالى:

- (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (يوسف: ٣٨).
- (إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (يوسف: ٠٩).
- (اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (الأعراف: ٨٢١).
- (تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) (هود: ٩٤).

3. الاستعانة بالله عزّ وجلّ:

- (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (الأنفال: ٦٤).
- (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) (الطور: ٨٤).
- (وَمَا لَنَا أَلا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ) (إبراهيم: ٢١).

٤. الاقتداء بأهل الصّبر والعزائم:

- (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ) (الأنعام: ٤٣).
- (وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا، فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) (الأعراف: ٧٨).

5. الحذر من الآفات العائقة عن الصبر:

- الاستعجال: لقوله تعالى: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ) (الأحقاف: ٥٣).
- الغضب: لقوله تعالى: (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ، لَوْلا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ) (القلم: ٩٤).
- الضّيق: لقوله: (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ) (النحل: ٧٢١).

ملاحظة: تمت الاستفادة الكبيرة من عدة مصادر وعلى رأسها كتاب الصبر في القرآن للشيخ الدكتور يوسف القرضاوي (رحمه الله).

القانون الرابع

(قانون التعامل مع المنافقين والمتخاذلين وقت الحرب)

القانون الرّابع
قانون التّعامل مع المنافقين والمتخاذلين

القانون العام: (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ؛ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلاً) (الأحزاب: ٦٠).

التفسير: (لئن لم يكفَّ الذين يضمرون الكفر ويُظهرون الإيمان، والذين في قلوبهم شك وريبة، والذين ينشرون الأخبار الكاذبة في مدينة الرسول صلّى الله عليه وسلّم عن قبائحهم وشرورهم، لنسلّطنَّك عليهم، ثم لا يسكنون معك فيها إلا زمنًا قليلاً).

مقدمة (هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)

إنّ معركة طوفان الأقصى؛ فرقانٌ بين الإيمان والنفاق وبين الشجاعة والتخاذل، فحين يلوم البعض بصوت خافت على المقاومة، معلناً أنّ حماس وكتائب القسام جَنَت على نفسها وجلبت القتل والذبح لشعب غزة، كما شبههم الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ) (آل عمران: ٦٥١).

ويتوهم فريق النفاق والتخاذل، أنّ أيام المقاومة الباسلة معدودة، وأنّ عليها أن ترفع الراية البيضاء سريعاً، قبل أن يستفحل فيها القتل: (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً، وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا) (الأحزاب: ٣١)، ولقوله تعالى: (وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا) (القصص: ٧٥).

والناس في تقدير الموقف على فريقين: (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ) (النساء: ٨٨)، وسنتناول هذا القانون من خلال العناوين الأربعة التالية:

أولاً: مفهوم النفاق، وأنواعه، وعلاماته

النفاق في اللغة العربية: (هو إظهار الإنسان غير ما يبطن، وأصل الكلمة من «النفق» الذي تحفره بعض الحيوانات كالأرانب وتجعل له فتحتين أو أكثر، فإذا هاجمها عدوها ليفترسها خرجت من الجهة الأخرى، وسمى «المنافق» به لأنه يجعل لنفسه وجهين يظهر أحدهما حسب الموقف الذي يواجهه). والنفاق شرعاً هو: (إظهار الخير، وإسرار الشر). والمنافق هو: (من يخالف قوله فعله، وسره علانيته، ومشهده مغيبه).

أما أنواع النفاق فهو: (نفاق اعتقادي، ونفاق عملي، ونفاق أكبر (وهو المُخرِج من الملّة)، ونفاق أصغر (لا يُخرِج صاحبه من الملّة)، لقوله تعالى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا) (النساء: ٥٤١)، ومن أبرز علامات المنافقين كما جاء في الحديث: (عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (أربعٌ من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها؛ إذا حدّث كذب، وإذا أؤتمن خان، وإذا خاصم فَجَر، وإذا عاهد غَدَر) (البخاري).

يقول الشهيد سيد قطب في تفسير الظلال: (إنّ أدنى درجات النفاق عدم التجرد لله، والغفلة عن ذكره، اشتغالاً بالأموال والأولاد، والتقاعس عن البذل في سبيل الله، حتى يأتي اليوم الذي لا ينفع فيه البذل والصدقات. ومن صفات المنافقين[4]

4/ تفسير سورة (المنافقون) في ظلال القرآن.

ما يثير السخرية والهزء بهذا الصنف الممسوخ المطموس من الناس، وتَسِمَهم بالفراغ والخواء والانطماس والجبن والفزع والحقد، بل تُنَصِّبهم تمثالاً وهدفاً للسخرية بقوله تعالى: (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ، يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ، هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) (المنافقون: ٤).

ثانياً: سلوكيات المنافقين وأثرهم في المجتمع

إنّ النفاق: (هو صورة للجبن والإنزواء، والفزع والهلع في ساعة الشدة، والانتعاش وسلاطة اللسان عند الرخاء، والشح على الخير، والضَنّ ببذل أي جهد، والجزع والاضطراب). والمتتبع لآيات القرآن الكريم يرصد العديد من سلوكيات وتصرفات المنافقين، من أبرزها:

(١) السّلوك الأول: الخداع والتذبذب:

- (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ، وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى، يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلا قَلِيلا، مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلا) (النساء: ٣٤١).
- (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) (البقرة: ٩).
- (وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ) (الأنفال: ٢٦).

(٢) السّلوك الثاني: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف:

- (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ، وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ) (التوبة: ٧٦-٨٦).

(٣) السّلوك الثالث: التعويق والشحّ وسلاطة اللسان:

- (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلا قَلِيلا، أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ، فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ، أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ، أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ) (الأحزاب: ٨١-٠٢).

(٤) السّلوك الرابع: الإرجاف والتثبيط والفتنة:

- (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ، ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلاً) (الأحزاب: ٠٦).
- (وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً، وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ، وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ، لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلا خَبَالا وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ، وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) (التوبة: ٦٤).

(٥) **السّلوك الخامس: الكيد والخيانة والغدر:**

- (إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) (آل عمران: ٠٢١).
- (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ، وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى، وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ) (الأنفال: ٨١).
- (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) (الأنفال: ٨٥).

(٦) **السّلوك السادس: نقض العهود ونكثها:**

- (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (البقرة: ٧٢).
- (وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) (الرعد: ٥٢).
- (وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ) (التوبة: ٢١).

(٧) **السّلوك السابع: الكذب والاستكبار:**

- (فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) (التوبة: ٧٧).

- (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) (البقرة: ٠١).
- (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (الأعراف: ٦٣).
- (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) (آل عمران: ٧٣١).

(8) السّلوك الثامن: المكر والصدّ عن الحق:

- (اسْتِكْبَاراً فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً) (فاطر: ٣٤).
- (بلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) (الرعد: ٣٣) .
- (وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) (إبراهيم: ٦٤).

(9) السّلوك التاسع: القعود والتخلّف والخذلان:

- (لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ، وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً، وَكُلا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) (النساء: ٥٩).
- (الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (آل عمران: ٨٦١).

- (وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ) (التوبة: ٦٨).
- (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ) (التوبة: ٣٩).

(١٠) السّلوك العاشر: الإفساد في الأرض:

- (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ، أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ) (البقرة: ١١).
- (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ) (البقرة: ٥٠٢).
- (وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) (القصص: ٧٧).
- (الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ، فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ، إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) (الفجر: ٣١).

(١١) السّلوك الحادي عشر: الاستهزاء والطّعن في الدين:

- (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا، وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ، إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) (البقرة: ٥١-٦١).

- (لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلا) (النساء: ٤٦).
- (وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ) (التوبة: ١٢).

ثالثاً: الخذلان والتّخاذل في معركة طوفان الأقصى

الخِذلان لغة: (مصدر خَذَل يَخْذُل خذْلاً وخِذلاناً، وهو (تركك نُصرة أخيك وعَوْنَه)، والخَاذِل: (ضد النّاصر)، والتَخْذيل: (حمْل الرجل على خِذلان صاحبه، وتثبيطه عن نصرته). وقال الراغب: الخِذلان اصطلاحا: (ترك من يُظنُّ به أن ينصرَ نصرَتَه)، وقال النووي: الخَذْل: (ترك الإعانة والنصَّر)، وقال الشوكاني: الخَذْل: (ترك الإغاثة).

ومن صور الخذلان: (خذلان المظلوم، والخذلان في الجهاد، وخذلان الأخ لأخيه عند الحاجة). فعن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال: قال الرسول (صلى الله عليه وسلم): (المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره) (البخاري ومسلم)، وقال الرسول (صلى الله عليه وسلم): (لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك) (الألباني، صحيح الجامع)، وفي الحديث النبوي عن الطائفة المنصورة: (لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم، إلا من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قالوا: يا رسول الله وأين هم؟ قال: بيت المقدس وأكناف بيت المقدس) (الطّبراني).

وحكم الخذلان: كما قال المنّاوي: (خذلان المؤمن حرام شديد، شديد التحريم)، لقوله تعالى: (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا، وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا، قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالا لاتَّبَعْنَاكُمْ، هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ، يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ) (آل عمران: ٧٦١).

رابعاً: كيف نتعامل مع المنافقين والمتخاذلين ؟

يقول الشهيد سيد قطب (رحمه اللّٰه) في ظلال القرآن: (إن القرآن الكريم أعلن حملة عنيفة على المنافقين وأكاذيبهم ودسائسهم ومناوراتهم، وما في نفوسهم من البُغض والكيد للمسلمين، ومن اللؤم والجبن وانطماس البصائر والقلوب)، ومن أهم أسس هذه الحملة عليهم ما يلي:

(١) الأساس الأول: الإعلان الواضح بأن المنافقين هم أعداءٌ للمؤمنين:

- لقوله تعالى: (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) (المنافقون: ٤).

«إنهم هم العدو الحقيقي، العدو الكامن داخل المعسكر ، المختبيء في الصف، وهو أخطر من العدو الخارجي الصريح (فاحذرهم». (في ظلال القرآن).

(٢) الأساس الثاني: التأكيد على عدم غفران الله للمنافقين:

- لقوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ، سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (المنافقون: ٦).

(٣) الأساس الثالث: الرد على المنافقين بأن الله هو مصدر الإنفاق والرزق:

- لقوله تعالى: (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ) (المنافقون: ٧).

«يُعرف المنافقون بخبث الطبع، وخسة المشاعر، وبلحن القول، وبالإلتواء والمداورة. فيحسبون أنّ لقمة العيش هي كل شيء في الحياة كما في حسهم، فيحاربون بها المؤمنين، لذا فهم يستخدمون خطة التجويع والحصار مع كل خصوم الإيمان، ومحاولة سد أسباب العمل والإرتزاق، ناسين الحقيقة البسيطة التي يذكرهم القرآن بها وهي: (وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ)» (في ظلال القرآن).

(٤) الأساس الرّابع: الذلة للمنافقين والعزّة لله ولرسوله وللمؤمنين:

- لقوله تعالى: (يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ) (المنافقون: ٨).

واليوم، في غزّةَ، في أرضِ العزّة، مكرَ اليهودُ، ليقضوا على (حماس) في بقعةٍ عزيزةٍ، لتكون عبرةً لغيرِها، لكنَّ اللّهَ أسرعُ مكراً، فهدى اللّهُ الآلاف من أحرار العالم، في شرقِ الأرضِ وغربِها، إلى البحثِ عن الإسلام والقرآن، الذي رأَوا أنَّهُ عنوانُ الثباتِ والصمودِ، الذي علِموا أنَّهُ الوَقودُ، الذي يُشعلُ جَذوةَ الإيمانِ في قلوبِ المجاهدينَ والصامدين من أهلِ غزة.

(٥) الأساس الخامس: فضح وكشف أفعالهم وما يبيتون له:

- لقوله تعالى: (يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا) (النّساء: ٨٠١).

«يستترون من الناس خوفًا من اطلاعهم على أعمالهم السيئة، ولا يستترون من الله تعالى ولا يستحيّون منه، وهو عزَّ شأنه معهم بعلمه، وكان الله محيطًا بجميع أقوالهم وأفعالهم» (التفسير الميسّر).

لذلك فإنّ معركة طوفان الأقصى كانت بمثابة (الفاضحة الكاشفة)، لكل المواقف تجاه أهل غزّةَ، وهي تواجه العدوان الصهيوني البربري الهمجيّ على مدار أكثر من سبعين يوماً، فقد كشفت هذه المعركة البطولية الخذلان من جميع المستويات: بدءاً من السلطة الفلسطينية المتآمرة، ومن معظم الأنظمة العربية والإسلامية الضعيفة، ومن الحكومات الغربية الشريكة، ومن المنظمات الإقليمية والدولية المتواطئة، وغيرها من الهيئات والمؤسسات.

لقد أخذ الخِذلان لشعبنا ومقاومتنا أشكالاً وصوراً كارثية، ترقى إلى مستوى «جرائم الحرب» حسب القانون الدولي الإنساني، ومن هذه الجرائم الكارثية: جريمة الإبادة الجماعية، والتطهير العرقي، والتهجير القسري، والفصل العنصري، والتجويع والتعطيش، والتدمير الشامل للبنى التحتية للمؤسسات المدنية الإنسانية، ولمنع الشعب من متطلبات الحياة الأساسية (الماء، والكهرباء، والوقود، والحرمان من الدواء والعلاج ... وغيرها من الجرائم).

القانون الخامس

(قانون الصراع مع العدو الصهيوني)

القانون الخامس | قانون الصراع مع العدو الصهيوني

القانون العام: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا) (المائدة: ٢٨). **التفسير:** (لتجدنَّ أشدَّ الناس عداوة للذين صدَّقوك وآمنوا بك و اتبعوك، اليهودَ، لعنادهم، وجحودهم، وغمطهم الحق، والذين أشركوا مع الله غيره).

مقدّمة

جاء في «وثيقة السياسات والمباديء العامة لحركة حماس» أن: (المشروع الصهيوني هو مشروع عنصري، عدواني، إحلالي، توسعي، قائم على اغتصاب حقوق الآخرين، ومعادٍ للشعب الفلسطيني وتطلّعاته في الحرية والتحرير والعودة وتقرير المصير؛ وإنَّ الكيان الإسرائيلي هو أداة المشروع الصهيوني وقاعدته العدوانية. والمشروع الصهيوني لا يستهدف الشعب الفلسطيني فقط، بل هو عدوٌّ للأمَّة العربية والإسلامية، ويشكّل خطراً حقيقياً عليها، وتهديداً بالغاً لأمنها ومصالحها، كما أنّه معادٍ لتطلّعاتها في الوحدة والنهضة والتحرّر. وهو سبب رئيس لما تعانيه الأمة اليوم، ويشكّل المشروع الصهيوني، أيضاً، خطراً على الأمن والسّلم الدّوليَين، وعلى المجتمع الإنساني ومصالحه واستقراره)[5].

5 /وثيقة السياسات والمباديء العامة لحركة حماس (مايو 7102).

أولاً: مفهوم الصّهيونية والمشروع الصّهيوني

- **الصهيونية**[6]: (هي فكر أيدولوجي وطني، وحركة سياسية يهودية عنصرية أسسها (تيودور هرتزل سنة ٥٩٨١)، ظهرت في وسط وشرق قارة أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر، من أجل المطالبة بإنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين. ودعت اليهود للهجرة إلى أرض فلسطين بدعوى أنها أرض الآباء والأجداد، ورفض اندماج اليهود في المجتمعات الأخرى، للتحرر من معاداة السامية والاضطهاد الذي وقع عليهم في الشتات من قبل أوروبا).
- **المشروع الصهيوني**[7]: (حركة رجال المال التي تزعمها "روتشيلد" و"موسى مونتفيوري" وكانت تهدف إلى إنشاء مستعمرات يهودية في فلسطين كخطوة لامتلاك الأرض، ثم إقامة دولة لليهود. والحركة الفكرية الاستعمارية، التي دعت إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين. والمشروع الصهيوني أوسع من فكرة "الصهيونية"، وهو يهدف إلى تجنيد كل الأدوات؛ ومن أبرز أدواته: (1) القوة العسكرية الساحقة، و(2) اختراق العالم العربي، و(3) الاعتماد المطلق على الولايات المتحدة في الدعم بكل أشكاله، و(4) شعور (إسرائيل) بأنها تستولي على كل فلسطين، و(5) تمزيق المنطقة العربية بالمؤامرات وتضييع هوية المنطقة، و(6) التربص بأية محاولة لوعي الشعوب العربية والديمقراطية، و(7) إستخدام العربي والعالمي بإرهاب المثقفين والمفكرين، و(8) دفع العرب إلى الإفتتان "بالنموذج الإسرائيلي"، و(9) ضرب الإسلام بالمسلمين كما جرى في "نموذج داعش" الذي صنعته أمريكا ودرّبته (إسرائيل)، وأخيراً، (01) سلاح الاغتيالات لقيادات فلسطينية، فسجل (إسرائيل) مشهور بذلك.

6/ نسبة إلى إلى جبل قرب القدس اسمه "صهيون".
7/مقالة للدكتور عبد الله الأشعل، سفير سابق ومساعد وزير الخارجية المصرية الأسبق – فلسطين اليوم.

ثانياً: أبرز خصائص اليهود كما وصفهم القرآن الكريم

(1) المسارعة في العصيان والعدوان:

- (وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ (اليهود)، وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (المائدة ٢٦).
- (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى (المقصود اليهود)، ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ، وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ، وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ) (المجادلة: ٨).
- (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) (المائدة: ٨٧).

(٢) الجبن والحرص على الحياة:

- لقوله تعالى: (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ) (البقرة: ٦٩).
- لقوله تعالى: (لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً، إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ، أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ، بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ، تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى) (الحشر: ٤١).

(٣) التجرؤ على الله سبحانه وشدة العداوة للمؤمنين:

- (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ، غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا، بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) (المائدة: ٤٦).
- (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا) (المائدة: ٢٨).

(٤) زرع الفتن والإفساد في الأرض:

- (وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (بين طوائف اليهود)، كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ، وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) (المائدة: ٤٦).
- (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا) (الإسراء: ٤).

(٥) الإسراف في القتل والإجرام:

- (لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ) (المائدة: ٠٧).
- (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا (المقصود اليهود)، إِلا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ، وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ، وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ؛ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَيَقْتُلُونَ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) (آل عمران: ٢١١)

(٦) الحسد والأنانية والبخل:

- (مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ (المقصود هنا اليهود)، أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (البقرة: ٥٠١).
- (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ (ومنهم اليهود)، لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا، حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ) (البقرة: ٩٠١).

- (أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا، أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ (أي حسد اليهود لمحمد على نعمة النبوة) عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) (النساء: ٤٥).

ثالثاً: طبائع اليهود كما وصفهم الله تعالى

(١) الانقسام والعداوة بين طوائفهم وأحزابهم:

- (بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ) (الحشر: ٤١).
- (وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (بين طوائف اليهود) (المائدة: ٤٦).

(٢) الإدّعاء بأنهم أحباء الله وشعب الله المختار:

- (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ، بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ، يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ، وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) (المائدة: ٨١).

(٣) الإصرار على الآخرين باتّباع ملتهم:

- (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ، قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ، مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ) (البقرة: ٠٢١).

(٤) الاغترار بحصونهم وقوتهم:

- (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ (المقصود يهود بني النضير) مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ، مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ،

فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا، وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ، فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ) (الحشر: ٢).

رابعاً: حقيقة المعركة بيننا وبين العدو الصهيوني

يقول الدكتور يوسف القرضاوي (رحمه الله)[8]: "إنّ أُولى قضايا الجهاد المعاصرة بلا شك: قضية فلسطين التي اغتصبها اليهود جهاراً نهاراً، وفرضوا عليها أنفسهم بالنار والحديد والدم، وشرّدوا أهلها من ديارهم، وهي سبب المعركة القائمة والمستمرة بيننا وبين اليهود الصهاينة من أوائل القرن الماضي (العشرين) إلى يومنا هذا"، ومن المهم التأكيد على الحقائق التالية لتبيان حقيقة الصراع:

(1) هل نعادي إسرائيل لأنها "سامية"؟

- "نحن لا نعادي العدو الصهيوني (إسرائيل) لأنّها "ساميّة"، فهذا أبعد ما يكون عن تفكير المسلمين، لأننا - نحن العرب – ساميّون، فنحن أبناء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، بل اعتبر القرآن المسلمين كافة: أبناء إبراهيم، قال تعالى: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ؛ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ) (الحج: ٨٧)»[9].
- "إنّ المسلمين عالميون إنسانيون بحكم تكوينهم العَقَدي والفكري، وليسوا ضد أي عرق من العروق أو نسب من الأنساب، وقد علمهم دينهم أن البشرية كلها أسرة واحدة، تجمعهم العبودية لله، والبنوّة لآدم،

8 /موسوعة (فقه الجهاد) للشيخ العلامة الدكتور يوسف القرضاوي – الجزء الثاني – للعام 9002
9 /المصدر السابق

- لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات: ٣١)»[10].

(٢) هل نعادي إسرائيل لأنها «يهودية»؟

- "إنّ اليهودية في نظر المسلمين (ديانة كتابية) من الديانات السماوية، جاء بها رسول الله موسى (عليه السلام)، كما قال تعالى: (قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) (الأعراف: ٤٤١)»[11].
- وهذا ما أكدّته (الوثيقة السياسية لحركة حماس)[12] التي نصّت على: (تؤكد حماس أنَّ الصراع مع المشروع الصهيوني ليس صراعاً مع اليهود بسبب ديانتهم؛ وحماس لا تخوض صراعاً ضد اليهود لكونهم يهوداً، وإنَّما تخوض صراعاً ضد الصهاينة المحتلين المعتدين، بينما قادة الاحتلال هم من يقومون باستخدام شعارات اليهود واليهودية في الصراع، ووصف كيانهم الغاصب بها).

(3) السبب الحقيقي لمعركتنا مع اليهود:

- "إنّ المعركة بدأت بيننا وبين اليهود، بسبب وحيد، وهو: إنهم اغتصبوا أرضنا وشرّدوا أهلها، أهل الدار الأصليين، وفرضوا وجودهم الدخيل بالحديد والنار، والعنف والدم. وهذا لا ينفي الطابع الديني عن المعركة، فالمعركة لها بواعثها الدينية، وأهدافها الدينية، كما قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ، فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) (النساء: ٦٧)»[13].

10 /المصدر السابق
11 /المصدر السابق
12/ وثيقة المبادئ والسياسات العامة لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) – مايو 7102
13/موسوعة فقه الجهاد للدكتور العلامة القرضاوي.

خامساً: حقيقة الإفساد والعُلو في الأرض لبني إسرائيل

يقول الله تعالى: (وقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ، لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ، وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (أي يقع منهم الإفساد مرتين في بيت المقدس)، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا (أي الإفساد الأول)، بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ، (أي ذوي شجاعة وقوة شديدة – البابليون –)، فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولاً، ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ (أي لبني إسرائل في العلو الثاني)، وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا، إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ (فلكم ثواب الله)، وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا (فسيقع عليكم عقاب الله)، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ (أي موعد الإفساد الثاني)، لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ، وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ (أي دخول بيت المقدس مرة ثانية)، وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا) (أي تخريب وتدمير كل شيء من – الرومان –). وفي هذا يؤكد العلّامة الشيخ القرضاوي[14] على ما يلي:

(١) أن مرتيّ الإفساد قد وقعتا، وأن الله تعالى عاقبهم على كل واحدة منهما، الأولى على أيدي (البابليين – نبوخذ نصر) الذين محو دولتهم من الوجود، وأحرقوا كتابهم المقدس، ودمّروا هيكلهم تدميراً، وكذلك (ضربة الرومان) القاصمة التي قضت على وجودهم في فلسطين قضاء مبرماً، وشردتهم في الأرض شَذَر مَذَر، كما قال تعالى: (وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا؛ مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ، وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (الأعراف: ٨٦١).

(٢) من الواضح أن الصراع مع اليهود الصهاينة يقع تحت القانون الإلهي المتمثّل في قوله تعالى: (عَسَى رَبُّكُمْ (أي يا بني إسرائيل)

14/ المصدر السابق

أَنْ يَرْحَمَكُمْ، وَإِنْ عُدْتُمْ (إلى الإفساد والظلم) عُدْنَا (إلى عقابكم ومذلتكم)، وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) (الإسراء). وهاهم قد عادوا إلى الإفساد والعلو والطغيان، وسنة الله تعالى أن يعود عليهم بالعقوبة التي تردعهم وتؤدبهم، وتُعرّفهم قدر أنفسهم. لقوله تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ - أي أيها الرسول - لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (أي على اليهود) مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (الأعراف: ٧٦١).

(٣) وقد فتح المسلمون القدس في عهد سيدنا عمر (رضي الله عنه)، ولم يتسلمها من اليهود، بل لم يكن فيها يهودي واحد، فقد حرّمها الرومان عليهم، بعد أن أنهوا وجودهم قبل أربعة قرون، وكان من الشروط التي أقرّها الفاروق عمر لبطريك القدس في العهدة العمرية: (ألا يساكنهم فيها يهود)، وظل العهد العمري محترماً معمولاً به خلال التاريخ الإسلامي، ومن ثم بدأ التسلل اليهودي إلى المدينة المقدسة في غفلة من المسلمين، ولكنهم كانوا أقلية صغيرة لا وزن لها، في أوائل القرن العشرين، ثم احتلها الصليبيون، وقتلوا ستين ألفاً في مسجدها، وبقيت تحت أيديهم تسعين عاماً، إلى أن حررها القائد المسلم المظفر صلاح الدين الأيوبي (رحمه الله).

سادساً: الحكم والواجب الشرعي في جهاد العدو الصهيوني

يقول الشيخ العلامة القرضاوي (رحمه الله): (إنّ هذا الاستعمار الصهيوني فرض نفسه بالأسلوب الدموي والعنف الوحشي، واستطاع بالقوة والكيد ومساعدة الغرب – بريطانيا أولاً وأمريكا ثانياً – وتواطؤ وخيانة بعض الأنظمة، أن ينتصر على أهل الديار، وأن يشتتهم في الآفاق)،

كما قال تعالى: (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ (أي اليهود) الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا، إِلا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ، وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ، وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ) (آل عمران: ٢١١)،

ومن المقرر فقهاً [١٥]: أن يتدرج الجهاد (أو المقاومة) ضد العدو الصهيوني كما يلي:

(١) إنّ على أهل فلسطين أن ينفروا خفافاً وثقالاً، لطرد العدو الكافر، الذي احتل ديارهم، فهذا فرض عين على جميعهم، كلٌّ بما يقدر عليه، وتسقط هنا الحقوق الفردية. ويشهد الواقع اليوم، أن المقاومة في فلسطين فقد بذلت أقصى ما عندها، وقدمت أروع البطولات في الصمود.

(٢) فإن عجز أهل فلسطين عن تحرير الأرض أو تقاعسوا أو جُبِنوا، كان أقرب الجيران إليهم أن يقاتلوا بجوارهم، أو يحلُّوا محلَّهم (واجب دول الطوق). ولكن عجز العرب، تركوا الفلسطينيين لوحدهم يواجهون أكبر قوة ضاربة في المنطقة، مؤيدة بإمكانات أعظم قوة عالمية في الأرض.

(٣) فإن عجز الجيران أو تقاعسوا عن مقاومة العدو وجب على من يليهم، ثم من يليهم، حتى يشمل (المسلمين كافَّة (واجب الأمة). فإذا تقاعست الحكومات عن هذا الواجب المقدس، فعلى الشعوب والجماهير أن تضغط على حكامها بكل ما تستطيع، وقد جاء في الحديث «المسلمون يسعى بذمتهم أدناهم، وهو يد على من سواهم» (أبو داود)، و«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه» (البخاري).

15/نفس المصدر السابق

وهذا ما أكدته «الوثيقة السياسية لحركة حماس» التي نصّت على: (إنَّ تحرير فلسطين واجب الشعب الفلسطيني بصفة خاصة، وواجب الأمة العربية والإسلامية بصفة عامة، وهو أيضاً مسؤولية إنسانية وفق مقتضيات الحق والعدل، وإنَّ دوائر العمل لفلسطين سواء كانت وطنية أم عربية أم إسلامية أم إنسانية هي دوائر متكاملة متناغمة، لا تعارض بينها).

الخاتمة: (وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين)

إنّ معركة طوفان الأقصى سينجلي غبارها بملحمة تاريخية عظيمة، وقلب للطاولة وبعثرة لأوراق الاحتلال ومن دار معه (محلياً وإقليمياً ودولياً)، وبثبات شعبي أسطوري، وانتصار للدم على السيف، وللكفّ على المخرز، لقوله تعالى (وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين) (آل عمران: ٩٣١). ويُذكّرنا الله سبحانه – أيضاً - بقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ (اليهود والمنافقون وكل حلفاء العدو) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) (الأحزاب: ٩). وكما وصف القرآن الكريم حالة معركة الأحزاب حينذاك (واليوم معركة الطوفان): (إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ (بالطائرات والمسيّرات) وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ (بالدبابات والبوارج البحرية)، وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ، وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونا (نتيجة التخاذل والتقاعس)، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالا شَدِيدًا (لما شهدوه من أهوال وكوارث بشرية ومادية أصابت شعبنا وحاضنتنا الشعبية) (الأحزاب: ٠١).

ولكن اللّٰه سبحانه وتعالى بشّرنا بأنه سيحقق للمجاهدين المقاومين النصر والغلبة لقوله: (وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ (المقصود يهود بني قريظة) مِنْ صَيَاصِيهِمْ، وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ؛ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ، وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا، وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا) (الأحزاب: ٦٢)، وكما أكّد الحديث النبوي الشريف بقول النبي (صلى اللّٰه عليه وسلم): (لا تزالُ طائفةٌ من أمتي على الحق ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرّهم من خالفهم حتى قيام الساعة، قالوا: أين هم يا رسول اللّٰه؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت القدس) (رواه أحمد)، ولقوله (صلى اللّٰه عليه وسلم): (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود فتقتلوهم حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم، يا عبد اللّٰه، ورائي يهودي فتعال فاقتله) (رواه البخاري).

نحن على يقين بأن اللّٰه سبحانه سيجعل نتيجة هذه المعركة البطولية الاستراتيجية ضرب الذلة والمسكنة على اليهود الصهاينة ومن والاهم وحالفهم، لقوله تعالى: (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ، وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ، وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ، وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) (آل عمران: ٢١١).

القانون السادس
(قانون الشهادة والاستشهاد)

القانون السادس | قانون الشّهادة والاستشهاد

القانون العام:

- **(وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ، وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)** (آل عمران: ٠٤١).
- **(وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ، بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ)** (البقرة: ٤٥١).
- **(وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا، بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)** (آل عمران: ٩٦١).

مقدمة (الشّهادة .. اصطفاء واختيار)

إنّ معركة طوفان الأقصى حملت للشّعب الفلسطيني على طريق الحق معاني القرآن الكريم، فاختار اللّه تعالى لأهل غزة «غزوة ذات الشّوكة» منادياً فيهم: (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ، وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ) (الأنفال: ٧)، ويتحقّق قدر اللّه سبحانه بانتصارٍ تاريخيّ مدوٍ لأهل «غزّة» ومقاومتها المظفّرة في صبيحة يوم السّابع من أكتوبر المجيد من العام (٣٢٠٢)، ومع توالي انتصارات كتائب القسّام في الميدان مع بقيّة فصائل المقاومة الباسلة، وهي تواجه آلة الدّمار الصّهيونيّ الوحشيّة البربريّة مدعومة بكل أشكال الدّعم الغربي بقيادة الولايات المتّحدة، فأوقعت بالعدوّ أكبر الخسائر البشريّة والماديّة (قتلاً وأسراً وإعاقة وتدميراً للآليات والدّبابات .. وغيرها) بفضل اللّه تعالى.

ويشاء اللّٰه سبحانه وتعالى أن تُمتَحن حاضنتنا الشّعبيّة الغزيّة البطلة بأنواع من الابتلاءات والتّضحيات، فكانت الحصيلة باهظة الثمن حتى الآن: (٤٢ ألف شهيداً، و٠٦ ألف جريحاً، وحوالي ٠١ آلاف مفقوداً تحت الأنقاض، و٠٦٣ ألف منزلاً مهدّماً، و٢مليون نازحاً في عموم قطاع غزة.. وغيرها من الأثمان التي سنذكرها في موقع آخر)، ويكأن اللّٰه سبحانه وتعالى يُخاطب أهل غزة قائلاً لهم: (وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء) (آل عمران: ٠٤١)؛ أي: يصطفي ويختار منكم مشاعل للحرية والاستقلال والانعتاق من الاحتلال الجاثم على صدورنا منذ أكثر من (٥٧) عاماً، ومن ثمّ يواسي أهل «غزّة» قائلاً: (لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى، وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ) (آل عمران: ١١١)، ويذكرهم بقوله تعالى: (وإِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) (آل عمران: ٠٥١).

ولكن «غزّة» العزّة رفعت في غزوة طوفان الأقصى شعار رسول اللّٰه (صلى اللّٰه عليه وسلم) يوم أُحُد: (لسنا سواء؛ قتلاكم في النار .. وشهداؤنا في الجنة)، وقد حدثت الزلزلة التي يميز اللّٰه فيها الخبيث من الطيب ويتحقّق بعدها نصر اللّٰه كما وعدنا في سورة الأحزاب: (إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ، وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ، وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ، وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً) (الأحزاب: ٠١)، وتجسّد شاخصاً قول اللّٰه تعالى: (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ، قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً) (الأحزاب: ٢٢).

أولاً: تعريفات ومفاهيم حول الشّهادة والشّهداء

(١) مفهوم الشّهادة والشّهداء:

- الشّهادة، التي أعدّ الله لأهلها الجنة، ومدح أهلها، هي التي تصدر عن رغبة فيما عند الله، وإخلاص لله، والجهاد في سبيل الله.
- الشّهداء: جمع شهيد وسمّي بذلك إما من الشهادة لأن الله ورسوله شهدا له بالجنة، وإما من الشهود لأن الملائكة يشهدونه فيبقون روحه، أو لأنه شهد وحضر المعركة وجاد بروحه فيها.
- الشّهيد: الحاضر، وكل ما كان شهد الله، فإنه بمعنى علم الله، وقوم شهود أي حضور، واستشهد: أي قُتل شهيداً، والشهيد يعني: الحيّ، والشهيد، من أسماء الله، وقيل الشهيد الذي لا يغيب عن علمه شيء.

(2) كرامات الشّهداء وخصالهم:

- وعن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (للشهيد عند الله ستُ خصال: (١) يُغفر له في أول دفنه، (٢) ويُرى مقعده من الجنة، (٣) ويُجار من عذاب القبر، (٤) ويأمن من الفزع الأكبر، (٥) ويُوضع على رأسه تاج الوقار (الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها)، (٦) ويُزوَّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويُشّفع في سبعين من أقربائه) (الترمذي وابن ماجه).
- وعن راشد بن سعد رض(رضي الله عنه) عن رجل من الصّحابة أنّ رجلاً قال: يا رسول الله ما بال المؤمنين يُفتنون في قبورهم إلاّ الشهيد؟

- فقال: (كفاه ببارقة السّيوف على رأسه فتنة) (النسائي).
- وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم): قال: (ما يجد الشهيد من مسِّ القتل إلا كما يجد أحدُكم من مسّ القرصة) (التّرمذي والنّسائي والدّارمي).
- وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (عجب ربنا تبارك وتعالى من رجل غزا في سبيل الله فانهزم أصحابه، فعلم ما عليه فرجع حتى أريق دمه، فيقول الله للملائكة: انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقاً مما عندي حتى أريق دمه، أُشهدكم أني قد غفرت له). شفقاً: خوفاً. وأريق دمه: سال دمه.
- قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «لما أُصيب إخوانكم بأحُد جعل الله أرواحهم في جوف طير خُضر تَرِد أنهارَ الجنة تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يُبلّغ إخواننا عنّا أنا أحياءٌ في الجنة نُرزَق؛ لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكُلوا عند الحرب؟ فقال الله سبحانه: أنا أُبلّغهم عنكم، قال: فأنزل الله تعالى: (وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) (آل عمران: ٩٦١).
- عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «والذي نفسي بيده لا يُكلَمُ أحدٌ في سبيل الله – والله أعلم بمن يُكلم في سبيله – إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم، والريح ريح المسك) (رواه البخاري).

- عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) يحدّث عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «ما من أحد يدخل الجنة يُحب أن يرجع إلى الدنيا، وإنّ له ما على الأرض من شيء غير الشهيد، فإنه يتمنّى أن يرجع فيُقتَل عشر مرات لما يرى من الكرامة» (متفق عليه).

(3) مكانة الشهداء وفضلهم:

- (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ، فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ؛ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) (النساء: ٩٦).
- (وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا، وَوُضِعَ الْكِتَابُ، وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) (المزمل: ٩٦).
- (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ، لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا، أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) (الحديد: ٩١).
- قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «يا جابر، ألا أخبرك ما قال الله عز وجل لأبيك؟ قلت: بلى، قال: ما كلَّم الله أحداً إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحاً فقال: يا عبدي تمنَّ عليَّ أعطِكَ. قال: يارب تحييني فأُقتل فيك ثانية، قال: إنه سبق مني أنهم إليها لا يُرجعون. قال: يارب فأبلغْ مَنْ ورائي. فأنزل الله عز وجل هذه الآية: (ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً» (رواه ابن ماجه).

(4) أنواع الشهداء وأصنافهم:

- قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «الشهداء خمسة: (١) المطعون، (٢) والمبطون، (٣) والغريق، (٤) وصاحب الهدم، (٥) والشهيد في سبيل الله» (متفق عليه).
- وقوله (صلى الله عليه وسلم): «من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد» (رواه أبو داود والترمذي).
- وعن سهل بن حنيف (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم): قال: «من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه» (أخرجه الخمسة إلا البخاري).
- وعن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «من طلب الشهادة صادقاً أعطيها ولو لم تُصبه» (رواه مسلم).
- عن جابر (رضي الله عنه) قال: كنا مع النبي (صلى الله عليه وسلم): في غزاة فقال: «إنّ بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيراً، ولا قطعتم وادياً، إلا كانوا معكم، حبسهم المرض، وفي رواية لمسلم «إلا شركوكم في الأجر» (رواه مسلم).

(5) ثواب الشّهداء بعد استشهادهم:

- (وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ، يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ، وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ)، (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ، لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ، الَّذِينَ

قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ، وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) (آل عمران: ٩٦١ – ٤٧١).

- (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا (أي مكانًا ومتحولاً ينعم فيه) كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيماً) (النساء: ٠٠١).

- (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ؛ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ، وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ، فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة: ١١١).

(6) التسابق في طلب الشهادة:

- عن أنس (رضي الله عنه) عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «لا يُقدِمَنَّ أحدٌ منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه، فدنا المشركون، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض، قال: يقول (عمير بن الحُمام الأنصاري): يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: نعم، قال: بخٍ بخٍ (للتفخيم والتعظيم)؟ قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاءة أن أكون من أهلها، قال: فإنك من أهلها، فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حَييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياةٌ طويلةٌ، قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل» (رواه مسلم)

ثانياً: الموت حقيقة حتمية .. فلتكن شهادة في سبيل الله

(١) الموت حق على كل نفس:

- (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ، وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ، فَقَدْ فَازَ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) (آل عمران: ٥٨١).
- (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ، وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) (الأنبياء: ٥٣)
- (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) (قّ: ٩١).
- (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) (الملك: ٢).

٢) الموت هو الحاضر الغائب:

- (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً، حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ، تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ) (الأنعام: ١٦).
- (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ) (المؤمنون: ٩٩).
- (وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ، فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ، فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) (المنافقون: ٠١).
- (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ، حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ، قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً) (النساء: ٨١).

(٣) لا فرار من الموت:

- (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ) (النساء: ٨٧).
- (قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً) (الأحزاب: ٦١).
- (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (الجمعة: ٨).
- (يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ) (إبراهيم: ٧١).

(٤) الموت حتميّة وسنّة إلهيّة:

- (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (البقرة: ٢٣١).
- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (آل عمران: ٢٠١).
- (قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ) (الأعراف: ٥٢).
- (ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ) (المؤمنون: ٦١).
- (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) (الزّمر: ٣٠).

(٥) الموقف من مصيبة الموت:

- (وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ
- لا تَشْعُرُونَ، وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ، قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) (البقرة: ٤٥١ – ٧٥١).

(٦) زمان الموت ومكانه:

- (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلا، وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا، وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا، وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ) (آل عمران: ٥٤١).
- (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (لقمان: ٤٣).

(٧) الموت والحياة بيد الله تعالى:

- (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (البقرة: ٨٢).
- (تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (آل عمران: ٧٢).
- (إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) (الأنعام: ٥٩).
- (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ) (الروم: ٩١).
- (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الروم: ٠٤).

ثالثاً: المجاهد .. وصناعة الموتة الشريفة

يقول الإمام الشهيد حسن البنا (رحمه الله) في رسالة الجهاد: «إن الأمة التي تحسن صناعة الموت، وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة، يهب لها الله الحياة العزيزة في الدنيا والنعيم الخالد في الآخرة. وما الوهن الذي أذلنا إلا حب الدنيا وكراهية الموت، فأعدوا أنفسكم لعمل عظيم واحرصوا على الموت توهب لكم الحياة». ويقول: «واعلموا أن الموت لابد منه وأنه لا يكون إلا مرة واحدة، فإن جعلتموها في سبيل الله كان ذلك ربح الدنيا وثواب الآخرة، وما يصيبكم إلا ما كتب الله لكم.وتدبروا جيداً قول الله تبارك وتعالى: (ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً، يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ، يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ، يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ، قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ، يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لا يُبْدُونَ لَكَ، يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا، قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ، وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ، وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (آل عمران: ٤٥١).

فاعملوا للموتة الكريمة تظفروا بالسعادة الكاملة. رزقنا الله وإياكم كرامة الاستشهاد في سبيله»[١٦].

رحم الله شهداءنا من أبناء شعبنا في جميع ساحاتنا وجبهاتنا: (غزة والقدس والضفة والخارج، ورحم الله مقاتلينا البواسل في الميدان، ورحم الله قياداتنا الذين قضوا: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ، وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) (الأحزاب: ٣٢) مع الشهداء العظام على طريق تحرير فلسطين. اللهم إنا نسألك اللحاق بهم مقبلين غير مدبرين، مكملين لمسيرة العزة والمجد، والحرية والاستقلال، وبناء السيادة والدولة.

16 /رسالة الجهاد – مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا.

القانون السابع
(قانون النُصْرَة والشُراكَة)

القانون السابع	قانون النُصرة والشّراكة في المعركة

القانون العام:

- **(وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا، أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)** (الأنفال: ٧٢).
- **(وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ، فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ)** (الأنفال: ٧٢).
- **(هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي)** (طه: ٣٢).

مقدّمة

إنّ واجب الأمة وقواها الحيّة هو: إمداد الشعب الفلسطيني وإسناد فصائل المقاومة، بكافة متطلبات الصمود والجهاد، ودعمه مادياً وبشرياً ومعنوياً ليقوم بدوره في مقاومة العدو الصهيوني، وذلك انطلاقاً من حقوق الشعب الفلسطيني على الأمة متمثلةً بـ : (١) حق الأخوة: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)، و(٢) حق الولاء: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ)، و(٣) حق النُصرة: (وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ)، و(٤) حق الإنتماء: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً)، و(٥) حق الشراكة (وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي)، و(٦) حق التعاون: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ). وإلى التفاصيل ...

أولاً: تعريفات ومفاهيم حول النُّصْرة والإيواء

يقول الله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا، أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (الأنفال: ٤٧) فبعد التدبر والتأمل والعيش في ظلال هذه الآية الكريمة، وتفاعلاً مع خطاب الأخ المجاهد (أبو عبيدة) الناطق العسكري باسم كتائب القسام، الذي جعل من هذه الآية شعاراً لأحد خطاباته، لابدّ أن أوضّح التعريفات والمفاهيم التّالية:

(١) مفهوم النُّصرة:

- مفهوم النّصرة؛ يعني: النصر والعون، نصره نصراً، أي أعانه وقوّاه، والنصير الناصر واحد، والنصرة اصطلاحاً: تعني "الغيرة الإيمانيّة التي تدفع المسلم لدفع الظلم عن أخيه المسلم المستضعف، والنصرة ضدّ الخذلان في الحرب وغيرها. والنصرة المحمودة، هي نصرة الحق كالقتال لإعلاء كلمة الله".

- نصرة المظلوم: عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «أُنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره» (البخاري).

- المسلم لا يَظلم ولا يُسلم: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة، فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة) (البخاري ومسلم).

- وللنصرة فوائد أهمها: تطهير الأمة من الظلم، وإقامة الشرع بإظهار العدل، إذ تعتبر إقامة النصرة للمظلوم بمثابة تمكين للدولة

لقول العلماء: (إن اللّٰه يُقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة)، ونجاة الأمة من العقاب بالأخذ على يد الظالم لقوله تعالى: (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الأنفال: ٥٢)، واستحقاق نصر اللّٰه لمن ينصر المظلوم، وتخليص الأمة من الفتنة والفساد.

- وللنصرة صور متعددة أهمها: النصرة قبل وقوع الظلم، والنصرة بالنصح للظالم، والنصرة بالشفاعة للمظلوم، والنصرة بدفع أذى السلطان عن المظلوم، والنصرة بالجهاد لقوله تعالى: (وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا) (النساء: ٥٧).

(2) مفهوم الإيواء:

- الإيواء لغة: آوى إيواءً، تعني آواه المكان أو فيه، وأنزله فيه وأسكنه، أو آوى الجرح، يعني قرب شفاؤه، والإيواء اصطلاحاً: يعني الإقامة الدائمة، وحسن الاستقبال، وحسن الرعاية والاستقرار الاجتماعي، والإيواء في القرآن الكريم: أي الإنقاذ في ساعة العسرة، والنجدة عن اشتداد الشدة، والمستقر الطيب بعد التشرد، والأمن بعد المخافة.

ثانياً: دور الأمّة في النُصْرة والشّراكة والانخراط في المعركة

أكّد الأخ المجاهد خالد مشعل في إحدى خطاباته للأمة: «أننا نواجه اليوم «حلفاً صليبياً صهيونياً»، تقاطر وهرع ليدعم الباطل، وهذا يدعونا لأن نعمل واجبنا في المقابل، وأكّد أنّ واجب أمتنا أن تنصر غزة. فلم يعد كافياً أن ننصر غزة من موقع التأييد والإسناد وحسب،

بل واجب الوقت يدعونا أن نؤدي دورنا ومسؤولياتنا من موقع الشراكة والانخراط في المعركة الجارية، كل حسب طريقته ووفق إمكاناته»، وهذا ما سنتناوله في الفقرات التالية:

(١) مفهوم الأمّة:

يقول أهل التفسير: إنَّ التصوّر القرآني لمفهوم الأمة هو: (الجماعة الواحدة المتفقة في العقيدة، وفي الاتجاه، والتي تقوم بدور الإمام، من أجل تحقيق الغاية في زمن محدّد)، وربنا سبحانه وتعالى يؤكد على وحدة هذه الأمة لقوله تعالى: (إنَّ هذِهِ أُمتُكُم أُمّةً وَاحدةً وَأنا رَبُّكم فَاعبُدُون) (الأنبياء: ٢٩)، (وَإنَّ هذِهِ أُمتُكُم أُمّةً وَاحدةً وَأنا رَبُّكم فَاتَّقُون) (المؤمنون: ٢٥).

(٢) مفهوم الشّراكة:

«الشّراكة» لغة[١٧]: «هي العلاقة التي تقوم على التعاون، وتبادل المصالح بين كيانين»، وتعني: إصطلاحاً: «العلاقة بين كيانين أو أكثر، تقوم على أساس التعاون وتبادل المصالح والمنافع، والعمل عن قرب لتحقيق أهداف مشتركة، في مجالات متفق عليها».
والدلالة المهمة للشراكة: (شد الأزر، والشراكة في الأمر) لقوله تعالى: (وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي) (طه: ٩٢)، ولاشك أنَّ الشراكة المحمودة تجلب معيّة الله تعالى، لقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): «أنا ثالث الشريكين ما لم يَخُن أحدهما الآخر، فإن خان أحدهما الآخر، رفعت يدي عنهما) (البخاري).

17/حسب المعجم الوسيط، ومعجم المعاني الجامع

(٣) مفهوم الشّراكة مع الأمة وأبعادها:

الشّراكة المقصودة التي تتصف: (بالشمولية، والاستمرارية، والمستقرة، والمصيرية، والقائمة على رؤية مشتركة، واستراتيجية عمل واحدة، وتتسم بالأبعاد المحلية والإقليميّة والدَّوليّة)، وهي شراكة استراتيجية كاملة: في (التّفكير والتّخطيط، ورسم السّياسات، وتوزيع الأدوار).

(٤) من هم الشّركاء الاستراتيجيّون وكيفيّة تجسيد دورهم:

- إنّ مشروع (تحرير فلسطين وإزالة المشروع الصّهيوني)، يتطلّب "شراكة وانخراطاً حقيقياً" بين "المقاومة الفلسطينية" و"الأمة وقواها الحية"، شراكة تقوم على: وحدة الرؤية المستقبلية الكلية، ووحدة المصير السياسي المستقبلي، ووحدة الثوابت الوطنيّة والإسلاميّة والحضارية للأمة، ووحدة مواجهة الاستبداد والفساد في أنظمتنا الحاكمة، ووحدة ساحات وجبهات المقاومة للاحتلال وحلفائه وأذنابه.
- إنّ مشروع التحرير يتطلب: استخدام جميع الوسائل وعلى رأسها: المقاومة المسلحة من الداخل والخارج، والمقاومة السياسية بكل أشكالها، والمقاطعة الشاملة بكل أنواعها، والملاحقة القانونية، وجلب مجرمي الحرب لمحكمة العدل الدولية، والمقاومة الشعبية بكل أنماطها، والشّعار المركزيّ للمشروع: قوله تعالى: (فَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٍۚ) (التوبة: ٥).

ثالثاً: كيفية النُصرة والشراكة والانخراط في المعركة

في ضوء ما تقدم، ينبغي الإجابة على السؤال الجوهري التالي: كيف يمكن تجسيد هذا المشروع (مشروع الشراكة الاستراتيجية مع الأمة لتحرير فلسطين)، ونقله من الطرح النظري إلى الجانب التطبيقي والعملي، ليكون مشروعاً قابلاً للتنفيذ والإنجاز، كما قال اللّه تعالى مبشراً عباده: (فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ، يَنصُرُ مَن يَشَاءُ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) (الروم: ٤).

إن أهم أولويات نُصْرة غزة اليوم وما بعد الحرب من قبل الأمة على المستوى الرسمي والمستوى الشعبي، هو التركيز على إعادة بناء وترميم القطاعات والمجالات الحياتية الرئيسة التالية:

م	القطاعات الخدمية	المشاريع المقترحة ذات الأولوية
	الإغاثة الإنسانية	مشاريع وبرامج المستعجلة لإغاثة أهل غزة بالإيواء والغذاء والدواء والكساء والدواء، وتوفير الحد الأدنى من متطلبات العيش والحياة الكريمة.
	قطاع التعليم	مشاريع لإعادة إعمار المدارس والجامعات والمعاهد، وإيجاد بدائل مناسبة في ظل الواقع التعليمي الحالي الذي تعاني منه غزة على إثر الحرب الصهيونية. **(تم تدمير 392 مدرسة وجامعة كلياً وجزئياً).**

م	القطاعات الخدميّة	المشاريع المقترحة ذات الأولوية
	قطاع الصحة	مشاريع لإعادة إعمار وترميم المستشفيات والمراكز الطبية بعد الدمار الممنهج، وإيجاد البدائل الملائمة، وتوفير المستلزمات الطبية اللازمة. **(إخراج 30 مستشفى عن الخدمة، و 53 مركزاً طبياً، و 150 مؤسسة صحية، 122 سيارة إسعاف).**
	قطاع الإسكان	مشاريع لإعادة الإعمار للمساكن المدمّرة كلياً وترميم المتضرر جزئياً، وإيجاد البدائل السريعة خاصة للنازحين وحمايتهم من فصل الشتاء القارص. **(تم تدمير 70,000 وحدة سكنية كلياً، و290 ألف وحدة سكنية جزئياً).**
	قطاع الزراعة	مشاريع لإعادة تأهيل المزارع سواء الحقول أو الآبار أو الآلات الزراعية، ومزارع الدواجن، وحظائر الحيوانات كالأبقار والماعز والغنم وغيره.
	قطاع الصناعة	مشاريع لإعادة تأهيل المصانع بأحجامها المختلفة، والورش الصناعية المدمرة كلياً أو جزئياً والتي يعتاش منها قطاع كبير من أهل غزة.
	قطاع الصيد	مشاريع لإعادة ترميم شواطيء غزة، وإصلاح مراكب الصيد، وتأمين حركتهم على الشواطيء، علماً أن الصيد يُمثّل نسبة مهمة من مصدر دخل الأهالي.

	الشعبي والجماهيري	الحراك الشعبي الهادف والمؤثّر عبر: المسيرات الحاشدة، والمظاهرات النوعية، والاعتصامات، والإضرابات السلمية، والعصيان المدني.
	الاقتصادي والتنموي	تثبيت الوجود وتعزيز الصمود ورفع المعاناة اليومية بتحقيق تكامل اقتصادي عبر رجال الأعمال وبناء شراكات اقتصادية ومشاريع إعادة الإعمار.

م	مجالات التحرك	المشاريع والحملات المقترحة ذات الأولوية
	الثقافي والفكري	تحصين فكر وثقافة الأمة ضد المشروع الصهيوني عبر: معارض الكتاب، الصالونات الثقافية، نشر الرواية الفلسطينية وحماية التراث الفلسطيني. **(تم تدمير 200 موقعاً أثرياً وتر اثياً).**
	الفني والرياضي	استثمار شريحة الفنانين والرياضيين الضخمة ذات التأثير عبر: الانتاج السينمائي الضخم، مسلسلات للرواية الفلسطينية، والمسابقات الرياضية.
	الديني والدعوي	إحياء وإبراز دور علماء الأمة وهيئاتهم عبر: إطلاق حملات لإعادة ترميم وبناء المساجد، وتطوير دورها في تربية وصناعة الإنسان الغزّي الصامد. **(تم تدمير 157 مسجداً كلياً، و246 مسجداً جزئياً، و3 كنائس).**

	قطاع البلديات	مشاريع لإعادة تأهيل البلديات لتقديم الخدمة لأهل غزة، كالنظافة، والصيانة، والبيئة، وتخطيط المدن، والشوارع **(تدمير 138 مقراً حكومياً).**
	الاتصالات المواصلات	مشاريع لتأهيل شبكة الاتصالات والمواصلات، وحل مشكلة الأنترنت والاتصالات، وإعادة ترميم قطاع المواصلات، وقطاع التكنولوجيا.
	قطاع الخدمات	مشاريع لإعادة ترميم الخدمات الأساسية كتوفير المياه، وصيانة مولدات الكهرباء، وتوفير مصادر الطاقة والوقود، وإعادة تأهيل النظام المصرفي.

م	مجالات التحرك	المشاريع والحملات المقترحة ذات الأولوية
	السياسي والدبلوماسي	تصليب المواقف السياسية رسمياً وشعبياً، وذلك من خلال برامج: مقاومة التطبيع، والعمل البرلماني، وتشكيل مجموعات الضغط على الحكومات.
	الحقوقي والقانوني	تفعيل دور القضاة والمحامين والقانونيين ودعاة حقوق الإنسان، والمنظمات الحقوقية الرسمية والأهلية، ورفع قضايا للملاحقة القانونية.
	الإعلامي والدِّعائي	بناء رأي عام لصالح المقاومة، عبر إطلاق برامج: التواصل الاجتماعي، والإعلام الألكتروني باللغات الحية، والإعلام الفضائي، والحملات الإعلامية.

	العلمي والتقني	قيام علماء الأمة ومبدعيها بتسخير اختراعاتهم لصالح القضية عبر برامج: تكنولوجيا المقاومة، وبرامج الذكاء الاصطناعي، والمبادرات العلمية.
	العسكري والأمني	الجهاد بالنفس، ومراكمة القوة: بالإمداد بالسلاح، والتصنيع، والتدريب، والتحريض، والوسائل الأمنية المتقدمة. تجسيداً لقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ) (التوبة: ١١١).
	الجهاد المالي	الجهاد بالمال، والتبرع لدعم أهل غزة، ومقاومتها الباسلة استجابة لقوله تعالى: (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (الأنفال: ١٤).
	نتائج حرب الإبادة بعد مرور أكثر من 100 يوماً	ارتكب الاحتلال (2058) مجزرة، وإلقاء (65,000) طن متفجرات، بلغ عدد الشهداء (32,000) شهيداً ومفقوداً، وعدد الجرحى والمصابين (62,000) جريحاً، وعدد النساء الحوامل المتضررات (60,000) سيدة، وعدد النازحين (2) مليون نازحاً، وعدد المعتقلين (110) من الطواقم الطبية والصحفية، وعدد المرضى (مليون) مريضاً.

رابعاً: مسارات النُصْرة العاجلة المطلوبة من علماء الأمة والنّخب العربيّة

دعا الأخ القائد إسماعيل هنية رئيس حركة حماس في مؤتمر الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في الدوحة بتاريخ ٩ يناير من عام ٤٢٠٢، ومؤتمر "الحرية لفلسطين" الذي عُقد الأحد ٤١ يناير في إسطنبول: (إنَّ ما تقترفُه آلةُ المشروعِ الصهيونيِ الإجراميّ الاستعماريّ من دمارٍ، وحصارٍ، وجدارٍ، ومجازرَ، وتنكيلٍ في غزة، واقتحاماتٍ للأقصى، واعتداءاتٍ جسيمةٍ على الأرضِ، والإنسانِ، والمقدساتِ في كلِّ أنحاءِ فلسطينَ، تفرضُ على إخوةِ الدمِ، والدينِ، والعروبةِ، والإنسانيةِ، والقيمِ حراكًا كبيرًا فاعلًا في عدة مسارات للمشاركةِ الحقيقيةِ في هذه المعركةِ الوجوديةِ، عبرَ المقاومةِ الشاملة والمباشرة لهذا الكيانِ الغاصب». وقد دعا إلى «رفع السقوف في خطاب أحزابنا ومؤسساتِنا وروابطِنا واتحاداتِنا وهيئاتِنا لردع هذا الاحتلالِ المتوحشِ والمتعطشِ للدماءِ. ولا مع الدولِ التي تدعمُه»، وقال: «آنَ الأوانَ لنخوضَ معًا معركةَ التحريرِ المصيريةَ».

كما شدّد رئيس الحركة: (على أن دور الأمة وعلمائها دور كبير لدعم المقاومة وإسنادها، وقال: نرى أن دول العالم تصب السلاح إلى الاحتلال عبر جسور جوية وحاملات طائرات، وآن الأوان لدعم المقاومة بالسلاح والمال (والقيام بواجب الجهاد بالمال والنفس)، لأن هذه معركة الأقصى، وليست معركة الشعب الفلسطيني وحده، وقال هنية: يا أحرار الأمة، قلما يجود الزمان بهذه اللحظات التاريخية، إياكم أن تفلت منكم، لأنها إذا فلتت لا ندري كم نحتاج من عقود، وإن شاء الله لن تفلت، وشدّد على أن المنطقة كلها على صفيح ساخن، وهناك جبهات عسكرية مساندة، وقد دعا الأخ القائد هنية في خطابه إلى العمل من خلال ست مسارات رئيسة هي:

- المسار الأول: المشاركة الحقيقية في المعركة الوجودية الدائرة، والعمل على تحريض الأمة للإسهام المباشر والشراكة والإنخراط

في المعركة المصيرية بكل أشكال الدعم بالسلاح والمال والرجال، كل حسب قدراته وإمكاناته وتأسيس الجبهة العربية لدعم وإسناد المقاومة المسلحة.

- المسار الثاني: التفافِ النخبِ العلميةِ والثقافيةِ والأدبية والحقوقية والأكاديميةِ والسياسية والإعلاميةِ والدينيةِ والاجتماعيةِ والاقتصادية والنسويةِ والشبابيةِ حولَ مقاومةِ الشعب الفلسطيني، وتشكيل جبهةٍ عريضةٍ لإسنادِ المقاومة والدفاع عنها،
- حيث دعا إلى تأسيسِ "الجبهةِ العالميةِ لإسنادِ المقاومةِ الفلسطينيةِ"، والانخراطِ الفعليِّ في هذه الجبهة.
- المسار الثالث: تجريم الحركةِ الصهيونيةِ في كلِّ المحافلِ والمحاكمِ الدوليةِ، ويشملُ ذلك بذلَ الجهود لإعادةِ طرحِ مشروعِ قرار تجريم الصهيونية في الأمم المتحدة والعمل على استصدار هذا القرار، ويشمل توسيع نطاق مقاطعة الكيان الصهيوني،

وملاحقةَ قادته السياسيين والعسكريين المسؤولينَ عن الجرائم في فلسطينَ أمام المحاكم والمحافل، وفرضَ عزلة على قادة الاحتلال والمتحدثين باسمه، ومنعَهم من الكلام في الجامعات، والمؤتمرات، والمحافل المختلفة.

- المسار الرابع: توسيع دائرة التضامن الدولي مع الشعب الفلسطيني، حيث دعا إلى تشكيل حلف دوليّ تحت عنوان "حلف الحرية والعدالة لفلسطين"، ليأخذ على عاتقه مواصلة الجهود الشعبية والرسمية المختلفة لكشف جرائم الاحتلال ومساندة الشعب الفلسطيني في طريقه لنيلِ الحرية.

- المسار الخامس: بلسمةِ جراحِ الأهل في غزة، هؤلاء الأبطال والأحرار الذين قدموا أغلى ما يملكون فداءً لفلسطين والمقاومة، وقال: إن هذا العنوانُ يتطلبُ الكثيرَ منَ الجهودِ المتواصلةِ لكسرِ الحصارِ عن غزة، وتوفيرِ مقوّماتِ الحياةِ الكريمةِ لهم عبر تشكيل تحالف إنساني لإغاثة أهلنا في غزة.
- المسار السادس: قيام العلماء بتشكيل فرق ووفود لزيارة المسؤولين في دولهم، والحديث عن وجوب وقف العدوان، وقيادة الجماهير نحو معبر رفح لكسر الحصار وإدخال المساعدات الإنسانية.

خاتمة (خطورة الخذلان وعدم النصرة)

جاء في الحديث الخطير والهام، لرسول الله (صلى الله عليه وسلم): (ما منْ امرىءٍ يَخذُل امرءاً مسلماً في موطنٍ يُنتقصُ فيه من عرضِه، ويُنتَهك فيه من حرمتِه، إلا خَذَله اللّهُ تعالى في موطنٍ يُحبُ فيه نُصرَتَه، وما من أحدٍ يَنصُر مسلماً في موطنٍ يُنتقَصُ فيه من عرضِه ويُنتهَكُ فيه من حرمتِه، إلا نَصَره اللّهُ في موطنٍ يُحِبُ فيه نُصْرتَه)، (رواه أحمد وأبو داوود وصححه الألباني).

القانون الثامن

(قانون صناعة الإنسان المقاوم)

القانون الثّامن	قانون صناعة الإنسان المقاوم وإعداده

القانون العام:

- (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) (طه: ٩٣).
- (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي، اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي) (طه: ٢٤).
- (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) (الأنفال: ٠٦).

أولاً: مدخل وتوطئة (الصناعة الأهم في معركة الطوفان)

أعجبني قول الأخ المجاهد أبي عبيدة في خطابه الأخير: (أنّ الصناعة الأهم التي نملكها في كتائب القسام هي: «صناعة الإنسان المُقاتل المُجاهد»؛ الذي لا تقف قوة في الأرض أمام إرادته وإصراره على مواجهة قاتلي أجداده وآبائه ومُدنّسي مسراه ومُحتلّي تراب وطنه)، وفي هذا المعنى يُؤكد الدكتور محمد سعيد بكر في إحدى محاضراته: (أنّ «صناعة الإنسان المقاوم»: هي فريضة الوقت لكل عالم وداعية وإمام ومربٍ وأستاذ وأب وأم، وهذه الصناعة تتطلب قدوة حسنة، وقيماً سامية، وثقة بوعد الله ووعيده، وأخذاً بأسباب القوة المتاحة).

وقد تعلمتُ من خطاب اللّه تعالى لأم موسى عليها السّلام قائلاً لها: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ، فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ (كي لا يذبحه فرعون)، فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ (في نهر النيل) وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي، إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) (القصص: ٧)،

وملهماً إياها أن ضعي ابنك موسى بعد ولادته في التابوت قائلاً لها: (إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى، أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ، فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ، فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ، يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ، وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) (طه: ٨٣)، فصرتَ (يا موسى) بذلك محبوبًا بين العباد، ولِتربّى على عيني وفي حفظي. وبعد أن اشتّد عوده خاطبه اللّه تعالى: (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي، اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ (هارون) بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا (تضْعُفا) فِي ذِكْرِي، اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) (طه: ٢٤-٣٤)، اذهبا معًا إلى فرعون لأنه قد جاوز الحد في الظلم والطغيان.

إذن فإنّ (الصناعة أو الاصطناع) الذي خضع له سيدنا موسى عليه السّلام، كان تربية وتدريباً وتأهيلاً، تمهيداً لمواجهة الظلم والطغيان الذي يمثله فرعون في ذلك الزمان: (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى). وهي ذات الصناعة والتأهيل الذي خضع له جميع الأنبياء لتبليغ رسالات ربهم، وتحرير أقوامهم من الظلم والعبودية. وهو نفس الذي آمنت به المقاومة الفلسطينية وفي مقدمتها حركة (حماس) وذراعها العسكري (كتائب القسام) طيلة السنوات الماضية مقتبسة شعارها من قوله تعالى: (ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ، فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ) (المائدة: ٣٢)، فقد آمنت المقاومة بفرْضِية الإعداد والصناعة للإنسان المقاوم لمواجهة العدو الصهيوني ومقاومته.

ثانياً: أنموذج «غزّة» في صناعة الإنسان المقاوم

يقول الدكتور عبد الله الغيلاني في مقالة مهمة له: «إنّ سر تمكين (حماس) وإكسابها تفوقاً نوعياً على المستويين العسكري و السياسي، هو تفرّد «الأنموذج القسامي»، الذي يُعْزَى إلى خمسة أصول شكّلت في مجملها معالم طريق: ضبطت المسارات، وحددت المقاصد، وعصمت الخيارات الاستراتيجية من آفَتَي الطيش والخور، ووفّرت للعقل التخطيطي (السياسي والعسكري)، زاداً معرفياً ومكّنته من الاستبصار وتقدير المآلات، وهذه الأصول الخمسة هي:

١. **المرجعية الفكرية:** المستمدة من نصوص الوحي بما اشتملت عليه تلك النصوص؛ من ثوابت التوحيد ونواميس التدافع، وقطعيات العقيدة، ومنهجيات التعاطي مع النوازل. هذه المرجعية هي التي شكلت رؤية الحركة الكونية، وعصمتها من التردي في منحدرات أوسلو، وأمدّتها بشحنة من اليقين والإستعلاء الايماني، وحفظت هويتها العقائدية من التخليط و صانت منهجها من الزيغ.

٢. **البناء الإيماني:** يظهر جلياً أن «المقاتل القسامي» يَعْبُر محطات متتالية من الإعداد الروحي، والترقي الإيمانيّ، حتى يتجرد لفكرته، ويصفو لرسالته، فلا تتزاحم في نفسه النوازع، ولا تشده جواذب الأرض، وبهذا الإعداد التربوي الكثيف؛ تعلو كفة المجاهد المؤمن، وتسمو تطلعاته، فلا يهن ولا يضعف ولا يستكين، وإن أصابه شيئ من المكاره، فزاده الإيمانيّ لا يزال يمدّه بطاقة روحية متوثبة، وإقدام لا يعرف الإحجام، إلا مُتَحرِّفاً لقتال أو مُتحيزّاً إلى فئة.

٣. **الرؤية السياسية:** لا ينفصل العمل العسكري عن الرؤية السياسية، بل هو خاضع لها دائر في مداراتها، و رؤية الحركة السياسية بأفقها الاستراتيجي البعيد، و ديناميكيتها التكتيكية المرنة؛ توفر للجهد القتالي مساحة للحركة، وتحدد له مَدَيَات التوغل وتضع له معالم السير.

٤. **التفوق النوعي:** ليس متاحاً لكل أحد أن يلتحق بالكتائب، فمعايير الإختيار صارمة، وشروط الإستيعاب محكمة، وأول المعايير حيازة ملكات فطرية، تستجيب لشروط القبول من أصالة معدن، وصفاء سريرة، و ذكاء عقل، وإنضباط حركة، وثبات جنان، وغير ذلك مما يتفرد به الأفذاذ، ويحوزه النابهون. و قد ولّد ذلك المنهج تفوقاً نوعياً، تجلت آثاره في الأداء الميداني. فالإقدام والثبات إنما يعكسان جودة العنصر البشري الذي فاق عدوه صبراً وجسارة.

٥. **بوصلة مشروع التحرير:** بات واضحاً أن الخيارات الإستراتيجية للكتائب محكومة بمؤشرات مشروع التحرير. وترجمة ذلك أن الخيارات العسكرية يجري تداولها وفقاً لمقتضيات الرؤية التحريرية الكلية، و ليس تبعاً لإملاءات المعطيات الجزئية المتغيرة، وأحسب أن معركة السابع من أكتوبر، رغم إرتباطها بحماية الأقصى، وتحرير الأسرى، ورفع الحصار عن غزة، جاءت وفق حسابات جيوستراتيجية، أبعد من مهيجاتها المباشرة الآنفة الذكر، وهذا الأصل (أي الإحتكام إلى الرؤية التحريرية الكلية) يجري على خيارات الحركة السياسية أيضاً، وعنه تنبثق قراراتها المرحلية وبه تنضبط مقارباتها».

ثالثاً: كيف جسّد رجال المقاومة في غزة سيرة الأولين (رضي الله عنهم)؟

يقول الأستاذ محمد أسوم في مقالة جميلة له: «كنا دائما نقرأ ونسمع عن حياة وقتال الصحابة رضوان الله عليهم مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، لكننا اليوم نرى في غزة العزة الأبية رجالاً يقاتلون مثل قتالهم:

- كلنا رأينا الشهيد الساجد الحافظ لكتاب الله، ألا يُذكرنا هذا الشهيد بالشهداء السبعين من الصحابة الحفظة لكتاب الله يوم الرجيع، ومنهم حرام بن ملحان (رضي الله عنه) الذي صرخ عند استشهاده (فُزت ورب الكعبة).
- كلنا رأينا مرات ومرات كيف يتقدم المقاوم ليلتحم بالدبابة ويلصق بها العبوة المتفجرة دون أن يرّف له قلب، ألا يُذكرنا هذا المقاوم بالبراء بن مالك (رضي الله عنه)الذي فتح باب حصن مُسيلمة الكذاب في اليمامة وقال للصحابة: «احملوني على رؤوس الرماح وألقوني خلف سور الحديقة»، فقاتل لوحده جيش مسيلمة وتمكّن من فتح البوابة.
- كلنا رأينا ذلك المقاوم الذي يقصف العدو بالهاون وقدمه مقطوعة، ألا يُذكرنا هذا المقاوم بالصحابي الأعرج عمرو بن الجموح وهو يطلب من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الخروج معه في غزوة أحد ويقول له: «فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة».
- كلنا رأينا المقاومين الحفاة وهم ينقضّون على الجنود المدججين بالدروع والأسلحة المتطورة، ألا يُذكرنا هؤلاء المقاومون بالصحابة الذين ربطوا أقدامهم الحافية بالرقاع في غزوة بني المصطلق.

كيف فعل رجال المقاومة في غزة خلال الأشهر الأربعة الماضية كل هذا؟ الإجابة ببساطة، أنهم قد ساروا على نهج الرسول (صلى الله عليه وسلّم) في غرس روح الجهاد، وحب الاستشهاد، وعاشوا في كنف هذه المعاني الإيمانية العظيمة:

- ✓ فالبيعة مع الله: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) (الفتح: ٠١).
- ✓ والتجارة مع الله: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ) (التوبة: ١١١).

- ✓ والشهادة فضل من الله: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) (آل عمران: ٩٦١).
- ✓ والأرض مباركة من الله: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) (الإسراء: ١).
- ✓ والفتح وعد من الله: (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا) (الإسراء: ٧).
- ✓ والابتلاء والزلزلة تمحيص من الله: (وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (آل عمران: ٤٥١).
- ✓ والأجل محدد من الله: (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ) (آل عمران: ٥٤١).

رابعاً: ما الجوانب الأساسيّة لإعداد الإنسان المقاوم ؟

يقول الدكتور محمد سعيد بكر في مشروعه القيّم بعنوان: (مشروع الإعداد تأصيلاً وتفصيلاً)[18]: معرّفاً المشروع بقوله: (هو مشروع تكاملي تراكمي، يعتني بالبناء «النوعي» لأبناء الأمَّة أو لفئة محدودة منهم تحضيرا لهم ليكونوا القيادات الميدانية للمعركة الفاصلة).

وتشمل عملية إعداد وصناعة الإنسان المقاوم الجوانب الأساسية التالية:

18/ تجد مشروع الإعداد تأصيلاً وتفصيلاً على صفحة وموقع د. محمد سعيد بكر، مع المنهاج المقترح.

١. الإعداد العقائدي:

- إن تمكين العقيدة الصحيحة، ضرورة لصناعة وتكوين المجاهدين، ومن معالم ذلك: اليقين بأن اللّٰه تعالى هو النافع وهو الضار، والثقة بأن وعد اللّٰه ووعيده لا يتخلفان، والإيمان بأن لله حكمة في تعجيل النصر أو تأخيره، فهو سبحانه بالغُ أمره، لكنه جعل لكل شيء قدراً.
- لترسيخ الإيمان بالله بأركانه، وأن اللّٰه غايتك، والرسول قدوتك، والقرآن دستورك، والجهاد سبيلك، والموت في سبيل اللّٰه أسمى أمانيك، وأن الشهادة حياة، والنصر فخر وعزّ ، وتحرير وعودة.

٢. الإعداد الروحي:

- لتفتح به صفحة جديدة مع اللّٰه، وتملأ قلبك خشية منه، ومحبة له، وثقة بوعده ووعيده، وتحرير الإنسان من الاعتقادات الخرافية، ومن التعصب وثقافة التكفير والشيطنة، وتعزيز القيم الروحية والمحبة والتسامح الديني والمذهبي والفكري والأخوة والإيثار. والتربية في مدرسة سورتي المزمّل والمدثر: (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ، قُمِ اللَّيْلَ إِلا قَلِيلاً، نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً، إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلا ثَقِيلاً) (المزمل: ١-٥)، (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ، وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ، وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) (المدثر: ١-٧).

٣. الإعداد الفكري والعقلي:

- لتتلمس فيه آيات الجهاد وأحاديثه، وشروطه وأركانه وآدابه، وموانعه ونواقضه ونوازله، ولتنمية التفكير، وتعلّم التفكير النقدي، والتفكير الابتكاري والإبداعي، وتنمية مهارات التواصل، وأساليب الاقناع بالأفكار، وتنمية ثقافة قبول الآخر.

٤. الإعداد النفسي:

- الإعداد من خلال تمكين الجانب النفسي؛ حيث بيَّن لهم مراراً شرف النصر أو الشهادة، وحُرمة الفرار من الزحف، روى البخاري عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «والذي نَفسِي بيدِهِ، لولا أنَّ رِجالًا مِن المؤمنينَ لا تَطيبُ أنفسُهُم أن يتخلَّفُوا عنِّي، ولا أجِدُ ما أحملُهُم عليهِ، ما تخلَّفتُ عَن سريَّةٍ تغزُو في سَبيلِ اللَّهِ، والَّذي نَفسِي بيدِه، لوَدِدتُ أنِّي أُقتَلُ في سبيلِ اللَّهِ، ثمَّ أُحيَا، ثمَّ أُقتَلُ، ثمَّ أُحيَا، ثمَّ أُقتَلُ، ثمَّ أُحيَا، ثمَّ أُقتَلُ» (أخرجه البخاري، ومسلم، والنسائي).
- التدريب على ضبط النفس: حتى يأتي الإذن بالرد على المعتدين، وفق ترتيب وتقدير مناسب، قال تعالى: (طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ) (محمد: ١٢).
- الإعداد بالتدريب على ضبط النفس عند الصدمات الكبيرة، ومن تلك الصدمات التي حصلت في السيرة النبوية وكانت شديدة على نفوس الصحابة الكرام؛ غزوة أحد، وحادثة الرجيع، وبئر معونة التي قُتل فيهما ثمانين صحابياً غدراً، فاكتفى النبي، (صلى الله عليه وسلم)، بالدعاء على القاتلين.

٥. الإعداد القيادي:

- لا بد من إعداد القادة أي وجود النموذج الحي (القدوة): فقد أعد الله تعالى نبيه محمداً (صلى الله عليه وسلم)، ومكَّنه من أعلى الصفات، ليكون القدوة لكل مَن بعده في اليقين، والثقة، والتضحية، والعطاء، والجهاد، وهو يُغني عن كثرة الكلام والتنظير، فقد رأى الصحابة النبي (صلى الله عليه وسلم)، يتقدم الصفوف، فكانوا يلوذون به إذا حمي الوطيس.

- الإعداد ببيان بشرية القائد، وأنه لا يجوز أن يتأثر الجيش إن مات القائد أو قُتل، لأجل ذلك أرسل النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى مؤتة ثلاثة قادة، وطلب من الجيش أن يختار رابعاً لتستمر المعركة إن قُتل هؤلاء الثلاثة، وكذلك الأمر فيما يتعلق بوفاته (صلى الله عليه وسلم).

٦. الإعداد الأمني:

- لترفع به من الحس الأمني، وتزيد من الحذر، وتتدرب على قوة الملاحظة ومحو الأثر، وليجعلك تتقن قوة التركيز، ودقة الإصابة، وفنون التمويه والخداع، وتحسن استثمار تخصصك العلمي، وخبرتك الحياتية لصالح المعركة القادمة.
- الإعداد بالتدريب على التعمية للعدو؛ فقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يسير بجيش كبير مثل جيش فتح مكة، ولا يدري العدو وجهته حتى يحقق عنصر المباغتة، وقد بعث (صلى الله عليه وسلم) عبد الله بن جحش في السنة الثانية من الهجرة إلى بطن نخلة، وكتب إليه كتاباً وأمره ألا ينظر فيه إلا بعد أن يسير ليلتين.
- الإعداد بالتدريب على تنفيذ المهمات الخاصة، وشعاره؛ أرسل حكيماً ولا توصه، ومنها سرية محمد بن مسلمة لقتل كعب بن الأشرف، وسرية عبد الله بن أنيس لقتل خالد الهذلي.

٧. الإعداد الجهادي والبدني:

- التأكيد على أهمية وشرف صور الجهاد كلها: وليس جهاد القتال للأعداء فحسب، فثمة جهاد النفس، وجهاد الدعوة، كما في قوله تعالى: (فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا) (الفرقان: ٢٥) فمن لم يجاهد نفسه لن يملك الاستعداد لمجاهدة الأعداء.

- العناية بالفتيان والشباب من خلال السماح لهم بالمشاركة في دور الجندية، بل والقيادة أحياناً، روى سلمة بن الأكوع (رضي اللّٰه عنه) قال: «غَزَوْتُ مع رَسولِ اللّٰهِ (صلى اللّٰه عليه وسلم) سَبْعَ غَزَوَاتٍ، وَخَرَجْتُ فِيما يَبْعَثُ مِنَ البُعُوثِ تِسْعَ غَزَوَاتٍ، مَرَّةً عَلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ، وَمَرَّةً عَلَيْنَا أُسَامَةُ بنُ زَيْدٍ» (مسلم).
- لتخفف فيه من وزنك، وتشد فيه بدنك، وتقوي به زندك، وتعتاد على شيء من الظروف المعيشية الصعبة، ولتتعرف على أساليب الدفاع المدني، والطوارئ والاسعافات الأولية.

٨. الإعداد المالي والاقتصادي:

- لتدّخر فيه في كل يوم مبلغاً من المال بنية تجهيز نفسك ومَن تستطيع من أهلك للمعركة، وأن تهيأ لنفسك مشروعاً إقتصاديا تنفع فيه نفسك وغيرك.
- الإعداد ببيان ثواب من جهز غيره، فكيف بمن يجهز نفسه، فقد «جاء عثمانُ إلى النَّبيِّ (صلى اللّٰه عليه وسلم) بألفِ دينارٍ في كمِّهِ حينَ جَهَّزَ جيشَ العُسرةِ فينثرَها في حجرِهِ، قالَ عبدُ الرَّحمنِ: فرأيتُ النَّبيَّ (صلى اللّٰه عليه وسلم) يقلِّبُها في حجرِهِ ويقولُ: ما ضرَّ عثمانَ ما عَمِلَ بعدَ اليومِ مرَّتينِ» (الترمذي).

٩. الإعداد الإعلامي والتعبوي:

- ليمكّنك من تصوير وحفظ ونشر المواد والأخبار الباعثة للأمل والاستبشار عبر وسائل الإعلام المختلفة وخاصة وسائل التواصل الاجتماعي.
- الإعداد من خلال التعبئة والشحن ضد أعداء الأمة، ببيان استحقاقهم للقتل على ما فعلوه من جرائم، قال تعالى: (أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ) (التوبة: ٣١).

- الإعداد الوجداني بفتح المجال للشعراء أن يهجو المشركين، وأن يحركوا مشاعر المسلمين، واعتبر ذلك نوع جهاد في سبيل الله، فقد روى البخاري أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: لحسان بن ثابت يوم قريظة: «اهْجُهُمْ، أوْ هَاجِهِمْ، وجِبْرِيلُ معكَ» (متفق عليه).

١٠. الإعداد الاجتماعي:

- لتعزيز روح الانتماء، والالتحام المباشر مع «الحاضنة الشعبية للمقاومة»: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ (الحجرات: ٣١)، وعملاً بحديث النّبيّ (صلى الله عليه وسلم): (أقرب الناس إلى الله أنفعهم للناس) (الطّبراني).

خامساً: الخاتمة (ما الواجب والمطلوب ؟)

- إنّ جميع المحاضرات والمقالات والخطب والدروس والمؤتمرات والمسيرات والاعتصامات والدعوات والبيانات والاضرابات، وحتى حملات التبرعات، كل ذلك على فضله وشرفه وأهميته، وأجر وثواب وروعة من قام ويقوم به، إلا أنه لم (ولن) يؤدي الواجب المطلوب (كاملاً) نحو إخواننا في غزة الأبية؛ الذين قدموا الغالي والنفيس دفاعاً عن شرف الأمة ومقدساتها. فالمطلوب إذن هو:
- الالتحام الحقيقي في مواجهة العدو، وكسر الحدود والسدود، كما التحمت دول الكفر والفجور التحاماً علنياً وسرياً مع الصهاينة، هذا لا يمكن أن يتم بلا إعداد مسبق، فالله الحكيم قال لنا: (وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً) (التوبة: ٦٤)، وهذا يعني أنه لابد من الاستمرار فيما سبق من الفعاليات وزيادتها وتطويرها،
- مع وجوب الإعداد للمعركة القادمة.
- وهنيئاً لمن كان له شرف الاسهام في بناء قيادات معارك العز وتوجيههم، لقوله تعالى: (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (آل عمران: ١٢١).

القانون التاسع

(قانون الثبات في المعركة)

القانون التّاسع	قانون الثّبات في معركة طوفان الأقصى

القانون العام:

- **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ، يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)** (محمد: ٧).
- **(إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا، سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ)** (الأنفال: ٢١).

أولاً: مدخل وتوطئة (ما أعظمك يا غزة !!)

قال لي صاحبي لا أعتقدُ أنَّ أحداً منّا لم يتساءل بينه وبين نفسه، وهو يقرأُ عن بطولاتِ الصّحابة: أهؤلاء بشرٌ مثلنا؟! ثمَّ جاءتْ غزَّة وأزالتْ عنَّا في أقل من أربعة أشهر دهشةً عمرها مئات السَّنوات! وأخبرتنا أنَّ السِرَّ كلّه في الإيمان، هذا الشيءُ العجيب الذي إذا استقرَّ في القلبِ، وامتلأتْ به الرُّوح صار النَّاسُ لا يُشبهون بقيَّة النَّاس! كان الصَّحابةُ بشرٌ، وبطولاتهم حقيقيّة، ولكنّ الاستغراب منّا منبعه أنّ قلوبنا لا تُشبه قلوبهم! وإننا اليوم نتساءل بذات الدَّهشة القديمة: أحقًّا أهل غزَّة بشرٌ مثلنا؟! نحن لم نرَ بلالاً حين كان يُردِّدها في وجه أُميّة: أحدٌ، أحدٌ! ولكننا رأينا وائل الدَّحدوح وقد قتلوه أربع مرَّاتٍ يعضُّ على جرحه، ويقفُ ثابتاً وفي داخله جنائز تُشيّع وهو يقول: «معلش»!

نحن لم نرَ سُميّة وهي تبصقُ في وجه أبي جهلٍ، تُمرِّغَ كبرياءه أمام النّاس، ولكننا رأينا أمهّات غزَّة يحملنَ جثث أولادهُنَّ دون أن تنزل من أعينهنَّ دمعة يشمتُ بها الصّهاينة،

ويُردِّدنَ: فداكَ يا اللّه! نحن لم نرَ أنسَ بن النّضرِ يوم أُحدٍ وفيه أكثر من سبعين ضربة، يجود بآخر أنفاسه موصياً:

لا عُذر لكم إن خُلِصَ إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلّم)، وفيكم عينٌ تَطرِف! ولكننا رأينا الشّهيد السّاجد من إمامة المسجد إلى ميدان القتال، إلى الجنّة إن شاء اللّه! نحن لم نرَ سالم مولى أبي حُذيفة يوم اليمامة وهو يحملُ اللواء ويقول: بئس حامل القرآن أنا إذا أُوتيتم من قِبَلي! ولكننا رأينا بأس كتيبة صفوة الحُفّاظ تبثُّ صور أقدامها وتحتها رؤوس جنود الاحتلال! نحن لم نرَّ الخنساء وقد تلقَّتْ بالصّبر نبأ استشهاد أولادها الأربعة يوم القادسيّة، ولكننا رأينا أُمَّ القائد صالح العاروري تُعلّق على نبأ استشهاده: «هنيئاً لكَ يمّه».

نحن لم نرَ هجرة الصحابة إلى الحبشة ولكننا رأينا خيم النازحين في رفحٍ قد ملأتها المياه! ولم نرَ مصعباً وحمزة ليس لهما أكفان تسترهم يوم أحد، ولكننا رأينا الذين جادوا بالأرواح وهم يقتحمون المستوطنات ولم يُدفنوا حتى اللحظة! نحن رأينا روح الرُّوح وإيمانه!، نحن رأينا شيئاً قليلاً من البأس والشجاعة والصّبر والتسليم والوجع، وكثير من هذا لم نره، هناك حكايا ستُروى لاحقا.. نحن لم نرَ النبي (صلى اللّه عليه وسلم)، وصحابته الكرام (رضي اللّه عنهم) في حصار شِعب أبي طالب لمدة ثلاث سنوات؛ وقد عُلّقت الصحيفة في جوف الكعبة، وبَقُوا محصورين حتى بلغهم الجهد، وسُمع أصوات صبيانهم بالبكاء، حتى اضطروا إلى أكل ورق الشجر، ولكن نحن رأينا حصار غزة وتجويع أهلها ومنع الماء والكهرباء والدواء والأكل، ووصل بهم الحال إلى طحن علف الحيوانات لجعله طحيناً يخبزونه لإطعام أطفالهم!!!

ثانياً: تعريفات ومفاهيم حول الثّبات، وأهميته، ووسائله

(١) المفهوم اللغوي والاصطلاحي للثبات: جاء في (لسان العرب) أن الثبات لغة: «ثبت الشيء يثبت ثباتًا وثبوتًا فهو ثابت، ورجل ثبت: متثبت في أموره»، والثّبات اصطلاحاً: «الاستقامة على الهدى، والتمسك بالتقى، وإلجام النفس، وقسرها على سلوك طريق الحق والخير، وعدم الالتفات إلى صوارف الهوى والشيطان، ونوازع النفس والطغيان، مع سرعة الأوبة والتوبة».

(٢) المفهوم الحركي للثبات: يقول الإمام البنا في ركن الثبات من أركان البيعة: «وأريد بالثبات: أن يظل الأخ عاملاً مجاهدًا في سبيل غايته، مهما بعدت المدة وتطاولت السنوات والأعوام، حتى يلقى الله على ذلك وقد فاز بإحدى الحسنيين، فإما الغاية وإما الشهادة في النهاية: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ، وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) (الأحزاب: ٣٢).

(٣) أهميّة الثبات ومواطنه الأساسية: الثبات: دليل على سلامة المنهج، ومرآة لشخصية المرء الصادق، وضريبة الطريق إلى المجد والرفعة، وطريق لتحقيق الأهداف. ومن أهم مواطنه:

أ. الثبات في الفتن: لقوله تعالى: (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) (العنكبوت: ٢-٣).

ب. الثبات في الجهاد: (يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا، وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الأنفال: ٥٤).

ج. الثبات على المنهج: (مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ ومِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ومَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) (الأحزاب: ٣٢).

د. الثبات عند علو الأعداء: (وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) (آل عمران: ٧٤١).

(٤) الوسائل المُعينة على الثبات: ومن أهم الوسائل هي:

أ- الإقبال على القرآن: (وقَالَ الَذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً، كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ورَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً، ولا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وأَحْسَنَ تَفْسِيراً) (الفرقان: ٢٣-٣٣).

ب- التقرب من الله والإكثار من العمل الصالح: قال الله تعالى: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وفِي الآخِرَةِ، ويُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ويَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) (إبراهيم: ٧٢).

ج- تدبّر قصص الأنبياء ودراستها للتأسّي والعمل: والدليل على ذلك: (وكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنباءِ الرُّسلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وجَاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ ومَوْعِظَةٌ وذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) (هود: ٠٢١).

د- ذكر الله تعالى والدّعاء: وهو من أعظم أسباب التّثبيت لقوله: (يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا إذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا واذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً) (الأنفال: ٥٤)، وقوله: (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وثَبِّتْ أَقْدَامَنَا)(البقرة: ٠٥٢).

ه- التربية الإيمانية العلمية؛ لقوله: (ومَا كَانَ قَوْلَهُمْ إلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى القَومِ الكَافِرِينَ، فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ) (آل عمران: ٧٤١-٨٤١).

ثالثاً: العوامل المؤثّرة على الحاضنة الشّعبيّة في المعركة

❖ العامل الأول: مدى تأثير أذى الحرب على الحاضنة الشعبية:

إن الحاضنة الشعبية في غزة تعرّضت لأنواع من الأذى كما في قوله: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ، وَالْجُوعِ، وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ، وَالأَنْفُسِ، وَالثَّمَرَاتِ، وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) (البقرة: ٥٥١)، وكأني بالله يقول لهم: «سنختبرنكم بشيء من الخوف (القصف والقتل العشوائي)، ومن الجوع (التجويع والتعطيش)، ونقص من الأموال (التفقير وتحطيم الحياة المعيشية)، ومن الأنفس بالشهادة في سبيل الله (القتل والإصابة والإعاقة)، ونقص من ثمرات النخيل والأعناب والحبوب (تخريب المزارع الموارد الزراعية)، وبشّرهم كما بشّر النبي (صلى الله عليه وسلّم) الصابرين، بما يفرحهم ويَسُرُّهم من حسن العاقبة في الدنيا والآخرة).

❖ العامل الثاني: مدى قدرة الحاضنة الشّعبية على الصبر:

لقد مسّ غزة البأساء والضراء على مدار (٧١) عاماً من الحصار الآثم، و(٤) أشهر من الدمار، ووقع فيهم قوله: (مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُو حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، مَتَى نَصْرُ اللَّهِ) (البقرة: ٤١٢). ونستحضر هنا آيات الصبر: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة: ٣٥١)، و(قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا) (البقرة: ٠٥٢)، و(وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا) (آل عمران: ٠٢١)، و(لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) (آل عمران: ٦٨١)، و(اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (آل عمران: ٠٠٢).

❖ العامل الثالث: مدى ثبات المقاومة في مواصلة القتال:

من عوامل تثبيت الحاضنة، وإبقائها فعّالة ومتعاطفة مع المقاومة، هو مدى ثبات المقاومة في قتالها وصمودها أمام العدو لقوله: (قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) (البقرة: ٢٥٠)، وقوله: (قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) (آل عمران: ١٤٧)، وقوله: (وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ) (الأنفال: ١١)، وقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) (محمد: ٧)، وخير مُعين للمقاومين هو معية الله لهم، لقوله: (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ) (الأنفال: ١٢).

❖ العامل الرابع: طبيعة النفس البشرية وتقلباتها:

قال أنس (رضي الله عنه): كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يُكثر من دعاء: «يا مقلّب القلوب «ثبّت قلبي على دينك»»، فقلت يا نبي الله: آمنّا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال نعم إنّ القلوب بين أصبعين، الله يقلبها كيف يشاء) (الترمذي)[19]، لهذا يقول تعالى لنبيه (صلى الله عليه وسلم): (وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلا) (الإسراء: ٤٧)، وقوله: (وَكُلا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) (هود: ١٢٠)، وقوله: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا) (الفرقان: ٣٢)، وتبشيراً للمؤمنين كما وصفهم تعالى: (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) (النحل: ١٠٢).

19 /الدرر السنية

رابعاً: الحاضنة الشّعبيّة وأسرار ثباتها في غزة العزة

يقول العالم الجليل د. محمد سعيد بكر متحدثاً عن الحاضنة الشعبية: (إنّ الحاضنة الشّعبية للمقاومة: هم عامة الناس دون الجيش أو الفريق أو الكتيبة المجاهدة؛ سواء أكانوا من الرجال أو النساء أو الشيوخ والأطفال. والحاضنة ليست غريبة عن الطائفة المجاهدة، فهم أهلهم وجيرانهم وإخوانهم، والمقامون ليسوا مجرد مرتزقة، بل هم من صلب المجتمع، وتعتبر الحاضنة عاملاً أساسياً في جلب النصر أو الهزيمة، ويحرص العدو على الحرب النفسية التي يضرب بها الحاضنة بجعلها تنقلب على المجاهدين أو تطعنهم في ظهورهم من خلال أساليب منها: تشويه صورة الجهاد والمجاهدين، والبطش والتنكيل بالحاضنة، مع إيصال الرسائل بأنه لولا هؤلاء المقاومون ما وصل الأذى إلى المدنيين، وبث الجواسيس والعملاء، وإثارة الشبهات حول رموز المقاومة، ومحاولة اختراق هذه الحاضنة وإسقاطها. من هذا المنطلق لابد أن تعتني المقاومة بهذه الحاضنة وعدم إهمالها، ومن الوسائل والأساليب المتبعة في غزة للاعتناء بالحاضنة الشعبية وإعدادها ما يأتي:

١. ترسيخ المفاهيم الإيمانية العقائدية: وأهمها: اليقين بالله، والعبودية الكاملة، والتسليم لرب العالمين، والتوكل على الله، والتقوى، والرضا، ومحبة الله، والعيش مع هذه الأسرار.
٢. تمكين العلماء والدعاة والمصلحين من المنابر والقنوات الدعوية، ومنحهم الدعم والحرية الكافية للتحرك بين الناس وتوجيههم.
٣. تربية الناس وتعليمهم وغرس القيم العليا فيهم ومنها: قيمة تعظيم الله تعالى، وقيمة الشعور بالمسؤولية، وقيمة اليقين بالعوض الإلهي، وقيمة العزة والكرامة، وقيمة الصبر والمصابرة.

٤. امتثال القدوة الحسنة؛ بحيث يتمثل قادة المقاومة حالة القدوة للحاضنة باعتبار أنه إذا كنت إمامي فكن أمامي؛ وضرب الأمثلة بالنماذج الرائعة من القدوات على امتداد الجغرافيا والتاريخ.

٥. مشاركة الحاضنة بأعمال جهادية؛ ومن تلك الأعمال مثلاً: تخبئة المقاومين وحمايتهم، وتضليل الأعداء ومسح الأثر، وتقديم الدعم المادي، ومواساة أهل الشهداء وتثبيتهم، والصبر والمصابرة وعدم تشكيل أي عبء زائد على المقاومين مهما كانت كلفة المعارك كبيرة.

خامساً: أهم ثمرات الثّبات وآثاره على المقاومة والحاضنة الشّعبيّة

☒ الثّمرة الأولى: السّكينة والطمأنينة:

جاء في كتاب مدارج السالكين[٢٠]: «أن السكينة هي منزلة من منازل المواهب، لا من منازل المكاسب، وأصل «السكينة» هي الطمأنينة والوقار، والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده، عند اضطرابه من شدة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان، وقوة اليقين والثبات، و«الطمأنينة» سكون القلب إلى الشيء، وعند اضطرابه وقلقه، و(البرّ ما اطمأن له القلب) كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم)»، وقد ذكر الله سبحانه «السّكينة» التي معناها «الطمأنينة» في مواضع أبرزها:

- (ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا) (التوبة: ٦٢).
- (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ، وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا) (التوبة: ٤٠).

20 /للإمام ابن القيم الجوزية بتهذيب العلامة الشيخ عبد المنعم العلي العزي.

- (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ، وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) (الفتح: ٤).
- (فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ، فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ، وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) (صلح الحديبة وفتح خيبر) (الفتح: ٨١).
- (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا) (الفتح: ٦٢).
- (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد: ٨٢).
- (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي) (الفجر: ٧٢-٠٣).

☒ الثّمرة الثّانية: العزم والعزيمة:

جاء في مدارج السّالكين: «أن «العزم» هو القصد الجازم المتصل بالفعل، وحقيقته هو استجماع قوى الإرادة على الفعل»، و«العزم» هو: عقد القلب على إمضاء الأمر لقوله: (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران: ٩٥١)، ويقال: «عزم المريد عن الدخول في الطريق، أي العزم على الاستمرار على الطاعات» لقوله: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ) (الأحقاف: ٥٣)، وقد ذكر الله «العزم» في مواضع لقوله: (وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) (آل عمران: ٦٨١)، وقوله: (وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) (لقمان: ٧١)، وقوله: (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) (الشورى: ٣٤)، وقوله: (طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ) (محمد: ١٢).

☒ الثمرة الثالثة: الرضا والتسليم:

جاء في مدارج السّالكين؛ «أن الجُنيد قال: (الرّضا هو صحة العلم الواصل إلى القلب، فإذا باشر القلب حقيقة العلم أدّاه إلى الرضا»، وقيل ليحيى بن معاذ: «متى يبلغ العبد إلى مقام «الرّضا»؟ فقال أقام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به ربه، فيقول: إن أعطيتني قبلت، وإن منعتني رضيت، وإن تركتني عبدت، وإن دعوتني أجبت)، وقد كتب الفاروق إلى أبي موسى (رضي اللّه عنه): «أما بعد، فإن الخير كله في الرضا، فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر). وقال النبي (صلى اللّه عليه وسلم): «من قال حين يسمع النّداء: أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له وأنَّ محمداً عبده ورسولُه، رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً، غُفرت له ذنوبه» (مسلم).

وثمرة «الرضا»: «الفرح والسرور بالرب تبارك وتعالى»، والنفس إنما تنال الرضا بالطمأنينة والسكينة، وما أجمل قوله: (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي) (الفجر: ٧٢-٠٣)، وليس من شروط «الرضا» ألا يحس بالألم والمكاره، بل ألا يعترض على الحكم ولا يتسخطه، أنّ رضا اللّه عن العبد أكبر من الجنة وما فيها، لقوله: (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة: ٢٧).

☒ الثمرة الرابعة: الاستقامة والسداد:

سُئل الصدّيق (رضي اللّه عنه) عن الاستقامة؟ فقال: «أن لا تشرك بالله شيئاً»، وقال الفاروق (رضي اللّه عنه): «الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعلب»،

وقال عثمان (رضي الله عنه): «إخلاص العمل لله»، وقال علي (رضي الله عنه): «أداء الفرائض»، وقال الحسن (رضي الله عنه): «العمل بالطاعة واجتناب المعصية»، وعن سفيان (رضي الله عنه) قال: قلت: «يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، فقال: «قل آمنت بالله ثم استقم» (مسلم). فالمطلوب من العبد «الاستقامة» وهي «السداد»، فإن لم يقدر عليها فـ «بالمقاربة» كما في صحيح مسلم قول النبي (صلى الله عليه وسلم): «سددوا وقاربوا، واعلموا أنه لن ينجوا أحد منكم بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»، وقد وردت «الاستقامة» في عدة مواضع لبيان قيمتها لقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُو تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) (فصلت: ٣٠)، وقوله: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) (الأحقاف: ٣١)، وقوله: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (هود: ٢١١) ، وقوله: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ) (فصلت: ٦).

خاتمة (ما أروع حاضنتنا الشّعبيّة !!)

نقول للحاضنة الشعبية لهذه المقاومة البطلة في غزة: إن مصيبة الفقد لا تعدلها مصيبة، فكيف بفقد أمٍّ كريمة لابنها المجاهد في ميادين الوغى، ثم تجدها صابرة محتسبة ترضى عن الله وترجو القبول، كحال خنساء الزمن الأول وخنساوات هذا الزمان؛ ممن نراهن في غزة العزة، يقدمن فلذات الأكباد وينتظرن شمولهن بشفاعة الشهيد التي وعده بها رب العباد،

لقد ربح البيع، ولولا حضانة الأم لهذا الشهيد وإرضاعه لبن العزة في مهده لما تجرأ هو على الإقدام ولا هي على الصبر والثبات، هكذا تجتمع بركة الحضانة والحاضنة، إنّ أسمى ما ينبغي تحققه في المجتمع الحاضن للمقاومة والجهاد أن يبقى على العهد داعماً ومسانداً وحامياً بل ومزوداً للثغور المتقدمة، مهما كانت كلفة المعارك والغزوات، حتى يبدو المجاهدون وأهلهم ومَن وراءهم صفاً كأنهم بنيان مرصوص، وهذا بإذن الله لم ولن يكون بإذن الله سبحانه. إنّ النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: عن المشاركة في أجر الغزاة حين قال لهم: «كنا مع النَّبيِّ (صلى الله عليه وسلم) في غَزَاةٍ، فَقالَ: إنَّ بالمَدِينَةِ لَرِجَالًا ما سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، إلَّا كَانُوا معكُمْ؛ حَبَسَهُمُ المَرَضُ. وفي رواية: إلَّا شَرِكُوكُمْ في الأجْرِ» (مسلم).

ونختم قانون الثبات هذا مع أهلنا في غزة بدعاء النبي (صلى الله عليه وسلم): «اللهمّ إني أسألُك الثباتَ في الأمرِ، والعَزيمةَ على الرشدِ، وأسألُك مُوجِباتِ رحمتِك، وعزائمَ مغفرتِك، وأسألُك شكرَ نعمتِك، وحسنَ عبادتِك، وأسألُك قلباً سليماً، ولساناً صادقاً، وأسألُك من خيرِ ما تعلم، وأعوذُ بك من شرِ ما تعلم، وأستغفِرُك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب» (أحمد).

القانون العاشر

قانون هلاك الظالمين

القانون العاشر	قانون هلاك الظالمين

القانون العام:

- (وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ) (القصص: ٥٩).
- (ياعبادي إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تَظَالَمُوا) (مسلم).

أولاً: مقدّمة (وظلم ذوي القربى أشد مضاضة)

بعد مرور (٨٥١) يوماً على معركة طوفان الأقصى المجيدة ودخولها شهرها السادس، والتي تُعتبر أطول معركة في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي، لم تقدّر عليها الجيوش النظامية للأمة العربية والإسلامية في حروبها السابقة، حققّت المقاومة الباسلة خلالها انتصارات عظيمة وبطولية على الجيش الذي كان يسمى (الجيش الذي لا يقهر)!!، ولكن مع هذه الانتصارات، تحمّلت المقاومة وحاضنتها الشعبية وعموم أهلنا في غزة أنواعاً وألواناً من الابتلاءات؛ حيث قدّمت قوافل من الشهداء وآلاف من الجرحى والمصابين، كما أصابها التدمير الشامل لكل مقوّمات الحياة، هذا بالإضافة إلى جرائم التجويع والتعطيش والتهجير القسري، وغيره كثير لا تكفيه هذه الصفحات المتواضعة.

لكن أشد أنواع الابتلاءات على شعبنا في غزة؛ هو الظلم الممنهج الواقع عليها؛ ليس من طرف العدو الصهيوني النازي الهمجي المتوحش وحسب، - فهذا معروف وموثّق ونعيشه صباح مساء -،

ولكن الظلم الأشدّ إيلاماً هو ما عبّر عنه الشاعر: (وظلم ذوي القربى أشد مضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهنّدِ)، هو ظلم الجيران ودول الطوق المحيطين بفلسطين؛ على المستوى الرسمي

(أي الحكام الظلمة وبطانتهم التي أقل ما يقال عن مواقفهم بين التواطؤ والخيانة)، وكذلك على المستوى الشعبي (أي معظم الشعوب ونخبها وأحزابها وجماعاتها وعلمائها ومفكريها وإعلامييها وسياسييها، والتي تتسم مواقفهم بين الضعف والصمت المطبق الذي لا أثر له، إلا من رحم ربي). بالإضافة إلى ظلم المجتمع الدولي الذي أثبتت معركة الطوفان أنه ليس هناك منظومة أممية دولية عادلة ونزيهة، فلا قيمة لكل المنظمات الدولية: (فلا مجلس أمن، ولا محكمة عدل دولية، ولا محكمة جنايات، ولا أونروا، ولا يونسيف، ولا منظمات الطفل والمرأة والصحة وحقوق الإنسان، ولا يونيسكو ..) فكلها تم كشفها وفضحها في هذه المعركة المباركة.

إنَّ الظلم الذي يقع على شعبنا في غزة قد تجاوز الحدّ، لهذا أخترت في هذه السلسلة (قانون هلاك الظالمين)، لتسليط الضوء على: مفهوم الظلم، ومن هم الظالمون؟، وأنواع الظلم، وعقوبة الظالمين وهلاكهم، وواجبات الحركة الإسلامية في مواجهة الظلم، لقد ذُكرت كلمة «الظلم» ومشتقاتها في القرآن الكريم حوالي (٩٨٢) مرة، وهذا يؤكد على أهمية الوقوف على معاني الظلم ودلالاته، لهذا يؤكد النبيّ (صلى الله عليه وسلم) في الحديث القدسي أن الله تعالى قال: (يا عبادي إني حرّمت الظلم عل نفسي، وجعلته بينكم مُحرَّما، فلا تظالموا) (مسلم)، وقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (اتّقوا الظلم، فإنّ الظلم ظلمات يوم القيامة) (مسلم)، وقوله: (اتقوا دعوة المظلوم فإنها تحمل على الغمام، يقول الله تعالى (وعزتي وجلالي لأنصرك ولو بعد حين) (رواه الطبراني).

ثانياً: مفهوم الظلم، وحُكمه الشرعي، والنظرة القرآنية للظالمين[21]

(١) مفهوم الظلم لغة وشرعاً:

- جاء في لسان العرب: «الظلم وضع الشيء في غير موضعه الشرعي، وأصل الظلم الجور ومجاوزة الحدّ، وزاد الأصفهاني في المفردات: وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان او زيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه، والظلم ضد العدل ونقيضه، ويمكن تلخيص العدل بأنه: «وضع الشيء في غير موضعه الشرعي، وإعطاء كل شيء حقه من المكانة أو المنزلة أو الحكم أو العطاء»[22].

(٢) الحكم الشرعي للظلم:

- (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) (هود: ٧١١)، يقول ابن تيمية: «إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة»، ويقال: «الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام».
- (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ - الظلم - يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النحل: ٠٩).
- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ - أي بُغْض - قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المائدة: ٨).
- (ياعبادي إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) (مسلم).

21 /كتاب السنن الإلهية – في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية – تاريخ 3991 – لمؤلفه الدكتور عبد الكريم زيدان (رحمه الله)

22 /المصدر السابق (كتاب السنن الإلهية)

(٣) النّظرة القرآنيّة للظلم والظالمين:

أ) من هم الظالمون؟

- (وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (البقرة: ٩٢٢).
- (فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (آل عمران: ٤٩).
- (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (المائدة: ٥٤).
- (لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (التوبة: ٣٢).

ب) إن الله لا يحبّ الظالمين:

- (وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (آل عمران: ٧٥).
- (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (آل عمران: ٠٤١).

ج) إن الله لا يهدي الظالمين:

- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (المائدة: ١٥).
- (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ، أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (التوبة: ٩٠١).

د) إن الله لا يفلح الظالمين:

- (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ). (الأنعام: ١٢).
- (اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) (الأنعام: ٥٣١).
- (وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) (القصص: ٧٣).

ه) أنّ لعنة الله على الظّالمين:

- (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ، فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) (الأعراف: ٤٤).
- (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا، أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ، وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ، أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) (يونس: ٨١).

ثالثاً: هلاك الظّالمين، وأنواع عقوبتهم، وسبل وقاية الأمة من الظّلم [23]

(١) هلاك الظالمين في الدنيا والآخرة:

- (أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ) (الأنعام: ٧٤).
- (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا) (يونس: ٣١).
- (وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا) (الكهف: ٩٥).
- (قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ) (العنكبوت: ١٣).

23 /المصدر السابق (كتاب السنن الإلهية)

- جاء في الحديث الذي أخرجه أبو داوود، قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (ما من ذنب أجدر أن يُعجّل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا، مع ما يدّخر له في الآخرة مثل البغي – الظلم – وقطيعة الرحم).
- جاء في صحيح البخاري أنّ النبي (صلى الله عليه وسلم): (قال لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: واتَّقِ دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب - أي ليس لها صارف يصرفها ولا مانع -).
- جاء في فتاوى ابن تيمية: (وأما حق المظلوم فلا يسقط بمجرد التوبة، فمن تاب من ظلم لم يسقط بتوبته حق المظلوم، إلا أن يعوّضه بمثل مظلمته).

(٢) أنواع عقوبة الظالمين وأسبابها:

أ- هلاك الأمم بظلم حكامها وبطانتهم: لقوله تعالى: (فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام: ٥٤)، و(هَلْ يُهْلَكُ إِلا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ) (الأنعام: ٧٤)، و(وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا) (يونس: ٣١).

ب- تسليط الظالم على الظالم: لقوله تعالى: (وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (الأنعام: ٩٢١).

ج- عدم فلاح الظالمين: لقوله تعالى: (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) (الأنعام: ٥٣١).

د- ظلم النفس: لقوله تعالى: (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ – له آثار باقية - وَحَصِيدٌ – ما قد مُحيت آثاره -، وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ، وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ

تَتْبِيبٍ - غير تدمير وإهلاك وخسران -، وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) (هود: ١٠٠-٢٠١).

ه- المحاباة في تطبيق القانون؛ لقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (فإنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليهم الحدّ، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها، ثم أمر بتلك المرأة - المخزومية - التي سرقت فقُطعت يدها) (النّسائي).

و- خراب البلاد؛ لقوله تعالى: (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (النمل: ٢٥).

ز- تأخير عقاب الظالمين؛ لقوله تعالى: (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ، وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ) (النحل: ١٦).

(٣) سبل وقاية الأمّة من عقوبة الظُلم:

ح- الإنكار على الظالم: لقوله تعالى: (أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ - أي ظلمَ - إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (المائدة: ٥٠١)، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (إنّ الناس إذا رأوا ظالماً فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم بعقاب منه) (الترمذي).

أ. عدم الإستكانة للظالم: لقوله تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ - الظلم - هُمْ يَنْتَصِرُونَ) (الشورى: ٩٣)، جاء في تفسير القرطبيّ: (أي إذا نالهم ظلم من ظالمٍ لم يستسلموا لظلمه).

ب. عدم الركون إلى الذين ظلموا: لقوله تعالى: (وَلا تَرْكَنُوا - لا تميلوا إلى الظلمة - إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ

اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ) (هود: ٣١١).

ج. عدم معاونة الظالم على ظلمه: لقوله تعالى: (فَأَخَذْنَاهُ – فرعون – وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) (القصص: ٤٠).

د. عدم معاونة الظالم على بقائه في مركزه؛ يقول سفيان الثوري: (من دعا لظالم بالبقاء فقد أحبَّ أن يُعصى اللّه في أرضه)، وسُئل الإمام سفيان الثّوري عن ظالم أشرف على الهلاك في برّية، هل يسقى شربة ماء؟ فقال: لا، فقيل له: يموت؟ فقال: دعه يموت) (تفسير الزمخشري).

رابعاً: أسباب هلاك الظالمين، وأشكال هلاكهم، والحكمة من ذكر ذلك [24]

(١) أسباب هلاك الظالمين:

أ. الظلم والجور: (قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ) (الأنعام: ٧٤).

ب. ترك الجهاد: (وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) (التوبة: ٢٤).

ج. فعل السّفهاء: (قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ) (الأعراف: ٥٥١).

د. ترك الإصلاح: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) (هود: ٧١١).

ه. الفسوق والعصيان: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ) (الإسراء: ٦١).

و. البطر والطغيان: (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ) (القصص: ٨٥).

24/المصدر السابق (كتاب السنن الإلهية)

ز. إدّعاء القوة والمال: (قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا) (القصص: ٨٧).

(٢) أشكال هلاك الظالمين وأنواعه:

أ. الريح الباردة الشديدة: (كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (آل عمران: ٧١١)، و(وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ) (الحاقة: ٦).

ب. الإغراق بالبحر: (كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ) (الأنفال: ٤٥).

ج. تهديم الديار والآبار والقصور: (فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ) (الحج: ٥٤).

د. الصيحة العظيمة: (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ) (الحاقة: ٥) – الصيحة العظيمة التي جاوزت الحد في شِدَّتها.

ه. الإنهاء والإبادة: (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) (مريم: ٨٩).

(٣) الحكمة من ذكر هلاك الظّالمين من الأمم السابقة:

أ. العبرة والعظة والاعتبار: (أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى) (طه: ٨٢١)، و(وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (الأحقاف: ٧٢).

ب. الاستدراك على التفريط: (وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ) (الأنبياء: ٥٩)، و(كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ) (ص: ٣).

ج. التبصرة والرحمة: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (القصص: ٣٤)، و(وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (القمر: ١٥).

د. الاستخلاف والاختبار: (قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) (الأعراف: ٩٢١).

خامساً: واجبات الحركة الإسلامية ودورها في مواجهة الظّلم والظّالمين [25]

إن من أهم واجبات الأمة (وفي القلب منها) الحركة الإسلامية العالمية اليوم، وفي ظل معركة طوفان الأقصى المجيدة، أن نذكّر بأبرز واجباتها وأدوارها لمواجهة الظلمة من حكام العرب والمسلمين:

(١) القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن المنكر وقوع الظلم، وأقبح الظلم هو ظلم الحاكم، فعلى الحركة تحديد موقفها وتُميّزه لقول النبي (صلى اللّٰه عليه وسلم): (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإم لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) (مسلم).

(٢) استحضار وتذكّر أن الحركة أقوى من الفرد وأضعف من الدولة، وأن الحاكم الظالم يتربص بها ما دامت على المنهج الجهادي الإسلامي الصحيح، فعليها أن تتصرف في ضوء هذه الحقائق،

25 /المصدؤ السابق (كتاب السنن الإلهية) بتصرف

وصدق اللّه: (قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى) (طه: ٥٣١).

(٣) الحذر من الوقوع في منعطف الركون إلى الذين ظلموا، فلا يجوز للحركة ممثلة بأميرها وأعضائها مخالطة الحكام الظلمة والظهور معهم دون الإنكار عليهم، مما يوحي بالمداهنة لهم لقوله تعالى: (وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ) (هود: ٣١١).

(٤) الإستثناء من معاني الركون إلى الظلمة حسب الظاهر – مثل الدخول عليهم أو مجالستهم – وجود حالة ضرورة تدعو لذلك أو وجود المبرر الشرعي، ودفع ضرر أو اجتلاب منفعة عاجلة.

(٥) تبصير الأمة بتقصيرها؛ فبسكوتها على الحاكم الظالم ورضوخها إليه واستكانتها له وركونها إليه، هو الذي يشجعه على ظلمه، وواجبها الإنكار عليه وتهيئة القوة اللازمة لإزالة الظلم واستئصاله. لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (المائدة: ١٥).

(٦) تحذير الناس من الوقوع في الكفر والردة عن الإسلام باعتراضهم على اللّه واتهامهم إياه – نعوذ بالله- بتأييد الحاكم الظالم بدليل بقائه في الحكم والسلطة، لقوله تعالى: (لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (التوبة: ٣٢).

(٧) التبيان للناس أن أمور الحياة تجري وفق سنن اللّه، ومنها سنته في الأسباب والمسببات، وفي تدافع الحق والباطل،

فعلى المسلمين أن يعلموا أن إزاحة الحكام الظلمة لا يكون بالتمني وإنما بالعمل. لقوله: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلا عَلَى الظَّالِمِينَ) (البقر: ٣٩١).

سادساً: خاتمة (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ)

إنّ الشعب الفلسطيني يتعرض إلى أشد أنواع الظلم منذ (٥٧) عاماً من الاحتلال الصهيوني. وتزداد معاناته اليوم جراء الحرب العالمية الجارية عليه، بسبب الانتصار الأسطوري في طوفان الأقصى المباركة يوم (٧ أكتوبر)، وبسبب الصمود العظيم لأهلنا وحاضنتنا الشعبية بعد مرو هذه المدة القاسية. ولكن للأسف، فشعبنا يعاني من ظلم ذوي القربى (السلطة الفلسطينية غير الشرعية، وأجهزتها الأمنية التي تضم (٠٧) ألف شرطي مسلح). ومن ظلم الجيران ودول الطوق (٤) دول، ومن جامعة الدول العربية (٢٢) دولة، ومن منظمة المؤتمر الإسلامي (٧٥)، ويعاني من ظلم جميع المنظمات الدولية بكل اختصاصاتها.

إنّ ما يقرب من (٢) مليار مسلم في العالم، ومعهم المجتمعات الإقليمية والدولية، ينظرون اليوم إلى الظلم الواقع على شعبنا في غزة خاصة وفلسطين عامة، وهم يكابدون الجوع والعطش والمرض والنزوح وتعطّل الحياة بأبسط مقوماتها؛ فلا كهرباء ولا ماء ولا دواء ولا كساء ولا غداء، إنهم يعانون من القصف والقتل والبرد والشتاء وهم في العراء بعد أن دُمرت ما نسبته (٠٨)٪ من مساكنه ومزارعه ومعامله وآباره، هذا؛ غير مساجده ومدارسه وجامعاته وكل مرفقاته الحيوية.

إننا جميعا مسؤولون عن هذا الظلم لقوله تعالى: (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) (سبأ: ١٣)، ويحق لأهل غزة أن يصرخوا فينا قائلين: (الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا، وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا، وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا) (النساء: ٥٧)، وحالهم يقول: (إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (الممتحنة: ٩).

القانون الحادي عشر	قانون النّفير والاستنفار (للجهاد والقتال في سبيل الله)

القانون العام:

- (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (التوبة: ١٤).
- (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) (الحج: ٨٧).
- (فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ، وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ، فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) (النساء: ٤٧).

أولاً: مقدمة (لكِ الله ياغزة)

هزّني خطاب المجاهد أبو عبيدة الناطق العسكري باسم كتائب عز الدين القسام يوم الجمعة بتاريخ (٤٢٠٢/٣/٨) بقوله: (تدخل اليوم معركة طوفان الأقصى، وهذه الحرب الهمجية على شعبنا شهرها السادس، ولا يزال العدو المجرم يمارس ضد شعبنا محرقة نازية حقيقية؛ قتلاً، وتجويعاً، وتشريداً، وتدميراً، ويحتقر كل قوانين العالم، وأدبياته، وأنظمته البائسة، التي تقف عاجزة أمام كيان محتل غاصب، مجردٍ من كل قيم إنسانية. أمام هذا الواقع، وهذا العدوان، فإن كتائب القسام والمقاومة الفلسطينية حملت روحها على كفها، ولا تزال، وأدركت أن العدو لا يفهم إلا لغة القوة).

وأكد أبو عبيدة القول: (إن المقاومة استقبلت شهر رمضان بتقديم قرباناً لله شلالاً من الدماء الزكية، والأرواح الطاهرة، استقبلته بذروة سنام الإسلام؛ بالجهاد والقتال والرباط في زمن عزّ في الرجال، أمام أمة المليارين، عدو لا يكترث بقدسية المسجد الأقصى، وفرض القيود على التعبد فيه، استمراراً للحرب الدينية المعلنة، ولا يراعون حرمة دماء بريئة، هي أقدس عند الله من حرمة الكعبة المشرفة).

وجاء في خطابه أيضاً: (أمام كل هذا، تدعو المقاومة كل أبناء شعبنا بالضفة الغربية والقدس وفلسطين المحتلة عام ٨٤؛ إلى النفير والزحف نحو المسجد الأقصى والرباط فيه، وعدم السماح للاحتلال لفرض الوقائع على الأرض. إنّ من واجب كل حرّ أن يلتحم بتضحيات أهل غزة ومقاومتها؛ - فما من بيت إلا فيه شهيد، أو جريح، أو أسير من أجل الأقصى -، لإفشال مخطط العدو بتقسيمه زمانياً ومكانياً، وصولاً إلى هدمه، وإقامة الهيكل المزعوم).

وقد دعا أبو عبيدة في خطابه قائلاً: (ندعو جماهير أمتنا، في كل مكان، لإعلان النفير العام لمواجهة غطرسة الإحتلال في كل ميدان للقتال والمواجهة، وفي كل ساحة للاحتجاج والتظاهر، وليكن شهر رمضان المبارك كما كان دوماً امتداداً لمعركة بدر (يوم الفرقان) وفتح مكة (الفتح الأعظم)، وتصعيد طوفان الأقصى في الساحات والجبهات داخل فلسطين وخارجها. فيا أحرار شعبنا وأمتنا قوموا (بالنقلة الجهادية)، وأعلنوا لبيك يا أقصى في كل الميادين، (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) (الحج: ٤٠).

في ضوء هذا الخطاب، خصصت هذا القانون ليكون حول «النفير والاستنفار والجهاد والرباط والقتال»..

ثانياً: مفهوم النّفير، وأهميته، وأنواعه، والتّحذير من المتخلفين عنه

(٤) مفهوم النّفير:

- مصدر كلمة (نَفَرَ) هو جمع أشخاص لغرض تأدية أمر معين (قتال، بناء، إطفاء ..)، والنفير هو عملية استنفار لعامة الناس من أجل القيام بقتال العدو، أينما وجد، ولا تقتصر هذه العملية على فئة معينة، بل تشمل عامة الشعب للتأهب، والنفير لمهاجمة وقتال العدو بوسائل مختلفة. وقد ذُكرت كلمة «النفير» في القرآن الكريم (٨١ مرة).

(٥) الحث على النّفير:

- لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ – أي الجهاد في سبيل الله - اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ - تكاسلتم ولزمتم مساكنكم - أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا قَلِيلٌ) (التوبة: ٨٣).

(٦) التّحذير من عدم النّفير:

- لقوله تعالى: (إِلا تَنْفِرُوا - إلى قتال عدوكم - يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا، وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ، وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا - بتولّيكم عن الجهاد - وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (التّوبة: ٩٣).

(٧) أنواع النفير وأشكاله:

- لقوله تعالى: (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالا وَجَاهِدُوا - للجهاد في سبيل اللّه شبابًا وشيوخًا في العسر واليسر- بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (التوبة ١٤).
- وقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ - بالاستعداد لعدوكم - فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ - فاخرجوا لملاقاته جماعة بعد جماعة أو مجتمعين - أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا) (النساء: ١٧).

- وقوله: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً - وما كان ينبغي للمؤمنين أن يخرجوا جميعًا لقتال عدوّهم، فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ - جماعة تحصل بهم الكفاية والمقصود - لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ، وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) (التوبة: ٢٢١).

(٨) جزاء المتخلّفين عن النفير:

- لقوله تعالى: (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ - الذين تخلفوا عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقعودهم في(المدينة) - بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ، وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَالُوا لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ – في غزوة تبوك - قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ) (التوبة: ١٨).

- وقوله: (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ -يا بني إسرائيل- الْكَرَّةَ - ثم رَدَدْنا لكم الغلبة والظهور - عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا - وقَوَّيناكم وجعلناكم أكثر عددًا من عدوكم -) (الإسراء: ٦).

ثالثاً: معنى الجهاد، وحكمه، وفضله، ودرجاته

(٤) معنى الجهاد:

- لغة: جاء في (مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر): (الجهاد في اللّغة بذل ما في الوسع من القول والفعل)، وشرعاً: (قتل الكفار ونحوه من ضربهم، ونهب أموالهم، وهدم معابدهم، وكسر أصنامهم)، والمراد: هو (الاجتهاد في تقوية الدين؛ بنحو قتال الحربيين والذميين إذا نقضوا، والمرتدين الذين هم أخبث الكفار، للنقض بعد الإقرار والباغين).

(٥) الحُكم الشرعي للجهاد:

- يقول الدكتور العلامة القرضاوي (رحمه الله) في موسوعته (فقه الجهاد): (أجمع أهل العلم؛ مجتهدين ومقلدين، سلفيين وخلفيين، على أن الجهاد فرض كفاية على الأمة الإسلامية، لنشر الدعوة، وفرض عين لدفع هجوم الكفار عليها، فوجب وجوباً عينياً لا مناص منه أن يتجهّز كل مسلم، وأن ينطوي على نية الجهاد وإعداد العدة له، حتى تحين الفرصة ويقضي الله أمراً كان مفعولاً. لقوله تعالى: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) (الحج: ٨٧)، و(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) (التوبة: ٣٧)، وولقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (مَثَلُ المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يَفْتُرُ من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد) (رواه السّتّة إلا أبو داود).

(٦) المفهوم الحركي للجهاد:

- يقول الإمام حسن البنا[26] (رحمه الله): (إنما أريد بالجهاد: الفريضة الماضية إلى يوم القيامة والمقصود بقول رسول الله (من مات ولم يغزُ ولم ينوِ الغزو مات ميتة جاهليّة)، وأول مراتبه إنكار القلب، وأعلاها القتال في سبيل الله، وبين ذلك جهاد اللسان والقلم واليد وكلمة الحق عند السلطان الجائر، ولا تحيا دعوة إلا بالجهاد، وبقدر سمو الدعوة وسعة أفقها، تكون عظمة الجهاد في سبيلها، وضخامة الثمن الذي يُطلب لتأييدها وجزالة الثواب للعاملين: (وجاهدوا في الله حق جهاده) (الحج: ٨٧)، وبذلك تعرف هتافك الدائم (الجهاد سبيلنا).

26 /رسالة التعاليم للإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله.

(٧) فضل الجهاد ومكانته:

- لقوله تعالى: (لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً، وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً) (النساء: ٥٩).
- عن أبي هريرة (رضي الله عنه)أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم): قال: (والذي نفسي بيده لا يُكْلَمُ أحد في سبيل الله، والله أعلم من يُكْلَم في سبيله، إلا جاء يوم القيامة) (البخاري ومسلم)، (الكلم: هو الجرح. ويكلم: يجرح).
- وعن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم): قال: (من رابط ليلة في سبيل الله سبحانه وتعالى كانت كألف ليلة صيامها وقيامها) (ابن ماجه).

(٨) درجات الجهاد ومراتبه:

أ. التجهيز والاستخلاف: يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (من جَهَّزَ غازياً في سبيل الله تعالى فقد غزا، ومن خَلَفَ غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا) (البخاري ومسلم).

ب. الإنفاق في سبيل الله: وعن خُرَيم بن فاتك قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (من أنفق نفقة في سبيل الله تعالى كُتِبَتْ له بسبعمائة ضعف) (الترمذي والنسائي).

ه. تحديث النفس بالجهاد: وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أنه قال: (من مات ولم يغزُ ولم يحدِّث به نفسه مات على شُعبة من النفاق) (مسلم وأبو داود) ونظائره كثيرة.

رابعاً: شروط الجهاد، وأخلاقياته، وثواب المجاهدين، وجزاء القاعدين

(٤) شروط الجهاد:

أ. الإعداد: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) (الأنفال: ٠٦).

ب. البيعة: يقول تعالى: (يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ، وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ، فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة: ١١١).

ه. النّظام والانضباط: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) (الصف: ٤).

ح. الحبّ والرّغبة: (قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (لأن أقتلَ في سبيل الله أحب إليَّ من أن يكون لي أهل المدَر والوَبَر) - أي أهل الحواضر والبوادي- (النّسائي).

(٥) أخلاقيات الجهاد والمجاهدين:

أ- عدم الاعتداء: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (البقرة: ٠٩١).

ب- العـدل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المائدة:٨).

هـ. الرّحـمة: (أرشد المسلمين إلى منتهى الرحمة، فهم حينما يقاتلون لا يْعتدون ولا يفجرون ولا يمثلون ولا يسرقون ولا ينهبون الأموال، ولا ينتهكون الحرمات ولا يتقدمون بالأذى، فهم في حربهم خير محاربين كما أنهم في سلمهم أفضل مسالمين).

ح. التقـوى: (عن بريدة (رضي اللّه عنه) قال: (كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) إذا أمر الأمير على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى اللّه تعالى ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: اغزوا باسم اللّه في سبيل اللّه، قاتلوا من كفر بالله، أغزوا ولا تَغُلّوا ولا تَغْدُروا ولا تمثّلوا ولا تقتلوا وليداً) (مسلم).

ط. الصّـدق: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) (الحجرات: ٥١).

ي. الصّـبر: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) (محمد:١٣)، و(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) (آل عمران: ٢٤١).

ك. المسؤوليّة الفرديّة: (وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (العنكبوت: ٦).

ل.

(٦) ثواب المجاهدين وأجرهم:

- يقول تعالى: (لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (التوبة: ٩٨).
- وقوله: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (الأنفال: ٤٧).
- وقوله: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) (الأنفال: ٢٧).

(٧) جزاء القاعدين عن الجهاد:

- يقول تعالى: (فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ) (التوبة:١٨-٣٨).
- (وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ) (التوبة: ٦٨) .
- قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (من لقي الله بغير أثر من جهاد لقي الله وفيه ثُلْمة) (الترمذي وابن ماجه).

خامساً: حكم القتال، وأنواعه، ولماذا يقاتل المسلم؟

(١) حكم القتال في سبيل الله:

- يقول تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ، وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) (البقرة: ٦١٢).
- وقوله: (فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ، وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ) (النساء: ٤٧).
- وقوله: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ، إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ) (الأنفال: ٥٦).

(٢) أنواع القتال في سبيل الله:

أ- قتال المشركين الناكثين: (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (التوبة: ٥١).

ب- قتال أهل الكتاب: (قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) (التوبة: ٩٢).

ج- قتال الكافرين: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (التوبة: ٣٢١).

د- قتال المنافقين: (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ) (آل عمران: ٧٦١).

٥-

(٣) مبررات القتال في سبيل الله:

ولعلنا نذكر هنا أبرز الدوافع والبواعث التي تدفع المسلمين للجهاد والقتال في سبيل الله:

١. أن الاستعداد للقتال هو أضمن طريق للسلام.
٢. فرض الله الجهاد لا أداة للعدوان ولا وسيلة للمطامع الشخصية ولكن حماية للدعوة وتحريراً للأوطان.
٣. فرض الله الجهاد ضماناً للسلم وأداءً للرسالة الكبرى التي حمل عبئها المسلمون.
٤. فرض الله الجهاد رسالة هداية الناس إلى الحق والعدل، وإن الإسلام كما فرض القتال شاد بالسلام فقال تعالى: (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (الأنفال: ١٦).

٥. كان المسلم يخرج للقتال وفي نفسه أمر واحد أن يجاهد لتكون كلمة الله هي العليا : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (البقرة: ٨١٢).

سادساً: خاتمة (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ)

يا أمتنا ماذا ننتظر؟ متى سنتجاوز مربع الصمت والخذلان، والتحرك لوقف جرائم الإعدامات الميدانية، والتنكيل بالمحاصرين من أهل غزة. يا أمتنا العربية والإسلامية، وأحرار العالم، وجماهير شعبنا في الضفة والقدس والداخل المحتل، نطالبكم بالتحرّك الفوري على كافة الأصعدة، لتشكيل أكبر حالة ضغط على مصالح الاحتلال وداعميه، وبذل الجهود لإسناد شعبنا في قطاع غزة، في معركته ضد آلة القتل والإبادة الصهيونية. إنّ هذه الجرائم البشعة (ومنها اغتصاب النساء أمام أزواجهنّ وأولادهنّ!!)، لن تكسر من عزيمة شعبنا وصموده وثباته على أرضه، وتمسكه بحقه في الحرية وتقرير المصير.

وكأني بحالة غزة اليوم؛ كيوم الأحزاب ومعركة الخندق، يوم أن قال المسلمون يا رسول اللّٰه: هل من شيء نقوله؟ فقد بلغت القلوب الحناجر، قال (صلى اللّٰه عليه وسلّم): (نعم، اللّهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا) قال: فضرب اللّٰه عز وجلّ وجوه أعدائه بالريح، فهزمهم اللّٰه عز وجلّ بالريح). إننا نذكّر أمتنا ونحن في شهر رمضان الكريم، إنّ الصوم لم يكن قبل قرون سياحة تحت أسقف الغرف المكيّفة، بل كان مكابدة تحت سياط العطش والجوع، ولهيب الحر الحارق أو البرد القارص.

وأن التاريخ الإسلامي يقلّب صفحات أخرى من رمضانيات الفاتحين؛ نزالاً على أبواب الحصون والمدن وعبوراً لأنهار الموت واللهب، ليعيدوا في حقائب الخالدين قصة فتوح رمضان التي قادها العطشى المرهقون إلا من وهج الإيمان وبراق العزيمة، كما يفعل الآن إخواننا في (كتائب) العزّ و(سرايا) المجد في قطاع غزة الأشمّ.

إنّ من أشهر وأعظم المعارك والفتوح التي وقعت في رمضان عبر السنين: غزوة بدر، وكانت في السابع عشر من رمضان، وفتح مكة، كانت في العاشر من رمضان، ومعركة القادسية، كانت في رمضان سنة خمسة عشر، وفتح بلاد الأندلس، كان في رمضان سنة ٢٩ هـ، ومعركة الزلاقة، كانت في سنة ٩٧٤هـ.، ومعركة عين جالوت كانت في رمضان سنة ٥٨٦، وموقعة حطين، كانت في رمضان سنة ٤٨٥ هـ، ثم حرب رمضان ٣٧٩١، وغيرها كثير، فهلموا يا أبناء أمتنا لنيل هذا الشرف؛ شرف النفير والجهاد والقتال في سبيل الله.

القانون الثاني عشر

قانون الاستبشار وعدم اليأس والقنوط

القانون الثاني عشر	قانون الاستبشار وعدم اليأس والقنوط

القانون العام:

- (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ، لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (يونس: ٤٦).
- (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (الزمر: ٣٥).

أولاً: مقدمة (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ) يا أهل غزة

في ظل ما يجري من أحداث جسام على ثرى الأرض المباركة فلسطين وغزة، (وهي على شدتها تمثّل إرهاصات لقرب تحقق وعد الله سبحانه وتعالى ونصره على الصهاينة المحتلين والمعتدين؛ ففي معركة طوفان الأقصى الجارية سقط صنم الدولة الصهيونية، وتهشمت صورة جيشها، وأساء وجهها طائفة مؤمنة صدق فيهم وصف الله تعالى: (عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً) ([الإسراء: ٥).

ما زال العدو الصهيوني مستمراً في محاولاته الخبيثة لضرب الإرادة الفلسطينية، جنباً إلى جنب مع حرب الإبادة الجماعية، التي يمارسها على مدار الأشهر الستة من عمر المعركة، ورغم ذلك زاد هذا من إصرار شعبنا العظيم في غزة على مواصلة الطريق، للوصول إلى النجاح المنشود وتجاوز العقبات وتحمل المسؤوليات والتحديات الجسام،

التي لو تعرضت لها دول عظمى خلال العدوان، لسقطت في أيام بل في ساعات، غير أن اللّه عزوجلّ تولّى برحمته وألقى الصبر والثبات في نفوس شعبنا العصيّ على الإنكسار، فأنزل عليهم السكينة والطمأنينة في قلوبهم لقول اللّه تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ، وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) (الفتح: ٤).

في ظل ذلك كله، (يغدو أن للتبشير وبث روح الأمل والتفاؤل ومعاني السكينة والطمأنينة؛ مكان وضرورة، تثبيتا وتقوية لصفوف شعبنا في غزة والمجاهدين المقاومين الصامدين خصوصاً، ومن خلفهم الأمة بكل مكوناتها وحراكاتها وهيئاتها وعلمائها عموما).[٢٧]

لهذا خصصتُ هذه القانون ليكون تحت عنوان (قانون الاستبشار وعدم اليأس والقنوط)، مفصلاً في بعض معانية، مثل: (مفهوم البشرى، وأهميتها، وأنواعها، ومستحقيها، ومبدأ التبشير وتطبيقاته العملية في القرآن والسنة والسيرة، وكذلك خصصت فقرة عن أسباب اليأس والقنوط والنهي عنه، ثم تحدثت عن التفاؤل والأمل، وأثر ذلك على السكينة والطمأنينة في نفوس المجاهدين وحاضنتنا الشعبية.

27/ افتتاحية مقالة بعنوان البِشارَة بالخير وتطبيقاتها في معركة طوفان الأقصى، للأستاذ محمود مصطفى أبو محمود ٣٢٠٢/٠١/٩

ثانياً: مفهوم البشارة، وأهميتها في القرآن والسنة، ومن هم مستحقيها؟

(١) مفهوم البشارة لغة:

جاء في لسان العرب أن البِشر بمعنى الطلاقة، والبشارة: ما بشرت به، والبشارة: ما يعطاه المبشر بالأمر، وأبشر واستبشر وتبشر وبشر: أي فرح وسر، والمبشرات: الرياح التي تهب بالسحاب وتبشر بالغيث. وتباشير كل شيء: أوله كتباشير الصباح والنور. والبشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير، وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة، كقوله تعالى: (فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (آل عمران: ١٢).

(٢) البشارة في القرآن الكريم:

وقد تكرر استخدام البشارة والأمر بها في القرآن في (٤٨) آية، فجاءت البشرى من الله سبحانه لعباده المؤمنين، نحو قوله تعالى: (يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ، وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ) (التوبة: ١٢)، وقال تعالى: (وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ) (يونس:٧٨)، وجاء الأمر منه سبحانه وتعالى بالتبّشير، فقال: (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) (البقرة: ٥٥١)، و(وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ) (الحج: ٤٣). و(وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ) (الحج: ٧٣)، كما بشرت الملائكة الأنبياء والمؤمنين، كقوله تعالى: (قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ) (الحجر :٣٥).

(٣) البشارة في السُنة النبوية:

- أخرج أحمد في مسنده تبشير النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه -رضي الله عنهم- أثناء حفرهم الخندق قبيل غزوة الأحزاب بفتح مدائن الشام وفارس واليمن، وحين أجلى الأحزاب عن المدينة بعد الخندق، قال (صلى الله عليه وسلم): «الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم". واستخدام النبي (صلى

اللّٰه عليه وسلم) التبشير ليثبّت قلوب أصحابه ويصبرهم، وخاصة في البدايات حيث تعرّض الصحابة فيها للشدائد والمحن، ومن شواهد ذلك ما رواه الحاكم في مستدركه أن النبي (صلى اللّٰه عليه وسلم) مرّ على آل ياسر وهم يُعَذَّبون في مكة، فقال مثبتاً ومصبراً: «أبشروا آل عمار، وآل ياسر، فإن موعدكم الجنة».

- وأخرج البخاري من حديث خباب بن الأرت، قال: شكونا إلى رسول اللّٰه (صلى اللّٰه عليه وسلم) وهو متوسّد بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا؟ فقال (صلى اللّٰه عليه وسلم): «قد كان من قبلكم، يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد، ما دون لحمه وعظمه، فما يصدّه ذلك عن دينه، واللّٰه ليتمّنَّ هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا اللّٰه، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون».

- ونجد في السنة بشارة النبي (صلى اللّٰه عليه وسلم) للمسلمين بفتح القسطنطينية وروما، كما في الحديث الذي أخرجه أحمد عن عبد اللّٰه بن عمرو (رضي اللّٰه عنهما) ، قال: بينما نحن حول رسول اللّٰه (صلى اللّٰه عليه وسلم): نكتب إذ سُئل رسول اللّٰه (صلى اللّٰه عليه وسلم): أي المدينتين تفتح أولا: قسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول اللّٰه (صلى اللّٰه عليه وسلم): «مدينة هرقل تفتح أولا يعني قسطنطينية»، وقد رأى المسلمون فتحها وتحققت البشارة وصارت إسطنبول مدينة المآذن وقلعة الإسلام وثغره المتقدم، ويرقب المسلمون في هذا العصر تتمة وعد اللّٰه بفتح روما لينشروا فيها التوحيد والعدل قريبا إن شاء اللّٰه.

(٤) المستحقّون للبشرى:

- البشرى هدية تحبّها النفوس وتترقبها، فهي إن جاءت جبرت كسر النفس وقوّت ضعفها، وأمدّتها بالأمل لتسكن وتطمئن وتثبت وتفرح وتسعد وتتفاءل، ثم تكمل الطريق حتى تلقى ما توع، وينبغي مراعاة ربط البشرى بأسبابها، فهي متحققة للذين آمنوا وعملوا الصالحات، وللصابرين وللمحسنين، «فمن أراد البشرى سار في طريقها واجتهد لنيلها". ومستحقوها هذه الأيام هم:

(أ) تبشير رجال المقاومة: أولى الناس بالتبشير هؤلاء المجاهدون الأبطال ومن خلفهم أقاربهم وجيرانهم في غزة وفلسطين، فنبشرهم رغم ألمهم بعون الله تعالى ونصره القريب، ونتلو على مسامعهم قوله تعالى: (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) (غافر:١٥)، وقوله تعالى: (سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) (الطلاق: ٧).

(ب) تبشير المهجّرين والنازحين: عن بيوتهم المهدّمة في غزة، واللاجئين عموماً في مخيمات الشتات بعودتهم إلى ديارهم، فوعد الله تعالى متحقق للمؤمنين، قال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا) (النور: ٥٥).

(ج) تبشير الأسرى والمعتقلين: في سجون الصهاينة بأن الله معهم، أخرج مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) أن النبي (صلى الله عليه وسلم): قال: «ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة، أو حطّ عنه بها خطيئة». كما قال تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا

يَغِيظُ الْكُفَّارَ، وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً، إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ). (التوبة:٠٢١).

(د) **تبشير الجرحى والمصابين:** بعيادة جرحى الجهاد في غزة والتكفل بتأمين العلاج والدواء والمشافي في فلسطين وخارجها، والدعوة لهم وتبشرهم بالشفاء القريب، ويجازيهم عليه ويعوضهم خيرا وثوابا، فقد أخرج البخاري في الحديث القدسي عن أنس (رضي الله عنه) أن الله تعالى قال: «إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه، فصبر؛ عوضته منهما الجنة. يريد عينيه».

(ه) **تبشير أسر الشهداء وأهلهم ورفاقهم:** بما أعده الله تعالى، كما جاء في الحديث عن أنس بن مالك (رضي الله عنه)، قال: أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام، فجاءت أمه إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقالت: يا رسول الله، قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تك الأخرى ترى ما أصنع، فقال: «ويحك، أو هبلت، أوَ جنة واحدة هي؟!، إنها جنان كثيرة، وإنه في جنة الفردوس» (البخاري)، ومثله حديث جابر بن عبد الله (رضي الله عنه)، قال: لقيني رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقال لي: «يا جابر ما لي أراك منكسرا»؟ قلت: يا رسول الله استشهد أبي، وترك عيالاً ودِيناً، قال: «أفلا أُبَشِرُك بما لقي الله به أباك»؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: «ما كَلَّم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك فكَلَّمه كفاحاً. فقال: يا عبدي تمنّ عليّ أُعطِك. قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية. قال الرب: إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون (الترمذي وابن ماجة)».

ثالثاً: مبدأ التّبشير، وأنواع المبشرات للمؤمنين العاملين

(١) مبدأ التبشير:

كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يوصي أصحابه بمراعاة مبدأ التبشير، أخرج البخاري عن معاذ وأبي موسى (رضي الله عنهما) ، قبيل إرسالهما إلى اليمن دعاة ومعلمين، فقال لهما: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا»، قال النووي في شرحه: وفي الحديث أمر بالتبشير بفضل الله سبحانه، والنهي عن التنفير بذكر التخويف وأنواع الوعيد محضة من غير ضمها إلى التبشير. وذكرت السنة النبوية أسماء العديد من الصحابة الذين خصهم النبي (صلى الله عليه وسلم) بالبشرى، كالعشرة المبشرين بالجنة، وأم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) التي بُشِّرت ببيت في الجنة من قصب لا نصب فيه ولا صخب. وجاءت البشرى لكعب بن مالك (رضي الله عنه) بتوبة الله عليه بعد تخلفه عن غزوة العسرة، قال كعب: فلما سلمت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: وهو يبرق وجهه من السرور: «أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك."

(٢) أنواع المبشِّرات في القرآن الكريم:

أ. قدم صدق عند ربهم: لقوله تعالى: (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ، وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ، قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَـذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ) (يونس: ٢).

ب. الأجر الكبير والحسن: لقوله: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً) (الإسراء: ٩)، و(قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً) (الكهف: ٢).

ج. عدم الخوف والحزن والجنة: لقوله: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ

اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) (فصلت: ٠٣)، و(فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) (آل عمران: ٠٧١).

د. منح الأولاد: لقوله: (فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ) (آل عمران: ٩٣)، و(إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) (آل عمران: ٥٤).

ه. طمأنينة القلوب بالنصر: لقوله: (وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) (آل عمران: ٦٢١)، و(وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ◻ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (الأنفال: ٠١).

و. قبول البيعة على القتال: لقوله: (إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة : ١١١).

ز. الرحمة والرضوان والحق واجتناب الطاغوت: لقوله: (يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ) [التوبة]، (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ) [الزمر].

رابعاً: اليأس والقنوط ضد البشارة والأمل والتفاؤل

(١) النهي عن اليأس والقُنوط:

- لقوله تعالى: (يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ، وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) (يوسف: ٧٨).
- ولقوله: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (الزمر: ٣٥).

(٢) اليأس والقنوط قرين الكفر والضلال:

- (قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ) (الحجر: ٦٥).
- (وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ) (الروم: ٦٣).

(٣) الأمل مقدم على اليأس والقنوط:

- (حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ، جَاءهُمْ نَصْرُنَا، فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) (يوسف: ٠١١).
- (وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى، بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً، أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاءُ اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً) (الرعد: ١٣).

(٤) الأوهام سبب من أسباب اليأس:

- يقول أ.عبد البصير عيد في مقالته[٢٨]: (نحن نقع ضحية لمخاوفنا الكاذبة، أمام وهن قلوبنا التي سلبناها كرامتها). ويقول ألبرت أينشتاين: (الإنسان الذي لم يرتكب خطأ هو إنسان لم يحاول أبدا).

28 /مقالة (الحياة بين اليأس والأمل) للأستاذ عبد البصير عيد، ٢٠١٧.

ويقول باولو كويلو: (الشيء الوحيد الذي يجعل الحلم مستحيلاً هو الخوف من الفشل). فالحياة تحتاج منا أن نصبر فقد قال تعالى: (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)، وقيل: «الصبر مفتاح الفرج».

(٥) التّفاؤل ضدّ اليأس والتشاؤم:

- كان النبي (صلى الله عليه وسلم) في أصعب الظروف يبشر أصحابه بالفتح والنصر على الأعداء، ويوم مهاجره إلى المدينة فراراً بدينه وبحثاً عن موطئ قدم لدعوته نجده يبشر عدواً يطارده يريد قتله بكنز سيناله وسوار مَلِكٍ سيلبسه، وأعظم من ذلك دين حق سيعتنقه، وينعم به ويسعد في رحابه.
- كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يحب الفأل ويكره التشاؤم، فعن أنس (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح: الكلمة الحسنة» (متفق عليه)، والطيرة هي التشاؤم.
- فمن مواقف تفاؤله (صلى الله عليه وسلم) ما حصل له ولصاحبه أبي بكر (رضي الله عنه) وهما في طريق الهجرة، بقوله: (لا تحزن إن الله معنا)، ومنها تفاؤله بالنصر في غزوة بدر، وإخباره (صلى الله عليه وسلم) بمصرع رؤوس الكفر وصناديد قريش، ومنها تفاؤله (صلى الله عليه وسلم) عند حفر الخندق حول المدينة، وذكره لمدائن كسرى وقيصر والحبشة، والتبشير بفتحها وسيادة المسلمين عليها. كل ذلك وغيره كثير.

(٦) السّكينة والطّمأنينة ثمرة الاستبشار والتفاؤل:

- لقوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ - يوم صلح الحديبية - لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) (الفتح: ٤).

- وقوله: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ – بيعة الرضوان – فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (الفتح: ٨١).

خامساً: خاتمة (نعم للتفاؤل .. لا للتشاؤم)

في الختام، إن واقع فلسطين اليوم وخاصة في غزة العزة، وما هي فيه من محن ورزايا وابتلاءات بكل الأشكال والمعاناة، ليستدعي إحياء صفة الأمل والتفاؤل محل اليأس والتشاؤم، لكي تعيد الهمة لأصحابها، وتضيء الطريق لأهلها، فنحن بأمسّ الحاجة اليوم أن يبتعد شعبنا وحاضنتنا العظيمة عن التشاؤم وتجنب التنفير، بل المطلوب نشر روح التصدي لليأس والإحباط ومحاولات التخذيل؛ خاصة عند الشدائد كما يحصل اليوم. وفي هذا أخرج مسلم في صحيحه قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «لا طيرة، وخيرها الفأل» قيل: يا رسول الله وما الفأل؟ قال: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم»، لمواجهة الشائعات ومحاولات الاصطياد بالماء العكر، مستغلين حالة الحرب والطواريء التي يعيشها قطاع غزة.

إن أهل غزة وحاضنتها ومقاومتها، بأشد الحاجة اليوم لحراك العلماء والدعاة وقادة الأمة والصالحين، للقيام بواجبهم من خلال الحضور بين الناس، ويتقدمون الصفوف في جميع عواصم الأمة العربية والإسلامية، ويذودون عن عرض المجاهدين ويشاركونهم جهادهم ورباطهم، ويتحملون مسؤولية تثبيتهم وتبشيرهم وتقوية عزائمهم؛ فقد حضر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى (وقعة شقحب ٧٠٢ه)، قرب دمشق، وفيها انتصر المسلمون وكانت في رمضان فأخذ الماء وشربه أمام الناس وأوصى الناس بالفطر حتى يكون أقوى لهم،

وكان يقسم بالله "إنكم منتصرون" فيقول له أمراء الأجناد قل إن شاء الله فيقول: "إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا". مستندا في قسمه إلى قوله: (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) (الروم:٧٤).

وأخيرا، فإنه كان من نصيب هذه الطائفة المنصورة بإذن الله – ونحسبها تلك الطائفة المجاهدة في غزة – أن تنال شرف الجهاد والرباط وتتقدم صفوف هذه الأمة الإسلامية العظيمة وترفع رايتها وتقودها في طريق الفتح والنصر والتحرير القريب، وإساءة وجوه الصهاينة، ودخول المسجد الأقصى المبارك، وإزالة وتدمير دولتهم إن شاء الله، تحقيقا لوعد الله تعالى القائل: (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا) (الإسراء:٧).